جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

اخْتِيَارُ الإِمَام أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْقِرَاءَاتِ مِنْ كِتَابِ الْكَامِلِ لِلْهُذَلِيِّ جَمْعًا وَتَوْجِيهًا

إعداد

د. محمد أحمد محمد إسماعيل عيسى
مـــدرس القـــــراءات وعلومـــــــها
في كلية القرآن الكريم بطنطا

١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

اختيار الإمام أحمد بن حنبل في القراءات من كتاب الكامل للهذلي جمعاً وتوجيهاً

محمد أحمد محمد إسماعيل عيسى
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا جامعة الأزهر الشريف.
الإيميل الجامعي : MohamedIsmail١٤٠٨.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

فقد جمع هذا البحث القراءات المعزوة إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من كتاب الكامل في القراءات للإمام أبي القاسم الهذلي رحمه الله، وهذه القراءات هي التي يصح أن توصف بأنها اختيار الإمام أحمد في القراءات .

وقام الباحث بضبط القراءات ضبطاً تاماً، وتوجيهها توجيهاً وافياً، وتفسير الآية القرآنية أو جزئها الذي وردت فيه القراءة بما يوضح معناها .

وتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: اختيار الإمام أحمد بن حنبل من القراءات المتواترة .

المبحث الثاني: اختيار الإمام أحمد بن حنبل من القراءات الشاذة.

واتبع الباحث في بحثه المنهج الوصفي، وكانت أهم النتائج التي توصل إليها:

الإمام أحمد بن حنبل من القراء المهرة، له اختيار في القراءات رواه الهذلي في كتابه الكامل .

تنقسم اختيارات الإمام أحمد في القراءات إلى موافق للمتواتر وإلى شاذ خرج عن نطاق المتواتر .

اختيار الإمام أحمد بن حنبل من الاختيارات الشاذة في القراءات .

الكلمات المفتاحية : اختيار - ابن حنبل – القراءات – التوجيه - الشاذة .

The selection of Imam Ahmad Ibn Hanbal in the Qira'at (recitations or readings of the Qur'an) From Al-Kamil Book of Al-Huthali, collected and directed

Dr. Mohamed Ahmed Mohamed Ismail Issa
Faculty of the Holy Qur'an for Qira'at (readings) and its sciences in Tanta, Al-Azhar University.
E-mail: MohamedIsmail١٤٠٨.el@azhar.edu.eg

Abstract:
companions. Here after.
This research collected the Qira'at (readings) attributed to Imam Ahmad Ibn Hanbal, may Allah have mercy on him, from the Al-Kamil Book Fi Al-Qira'at by Imam Abu Al-Qasim Al-Huthali, may Allah have mercy on him, and these readings are the ones that can be described as the selection of Imam Ahmad in the Qira'at(readings).
The researcher monitored and controlled the Qira'at(readings) completely, gave them an adequate direction, and explained the Qur'anic verse or its part, in which the reading was mentioned, in a way that clarifies its meaning.
This research consists of an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and an index of sources and references.
The first chapter: the selection of Imam Ahmad Ibn Hanbal from the Mutawatir Qira'at(frequent readings).
The second chapter: the selection of Imam Ahmad Ibn Hanbal from the Shath Qira'at(irregular readings).
The researcher followed the descriptive approach in his research, and the most important results he reached are:
١- Imam Ahmad Ibn Hanbal is one of the skilled reciters. He has a selection of readings as Al-Huthali narrated in his Al-Kamil Book.
٢- Imam Ahmad's selections in the Qira'at(readings) are divided into those that agree with the mutawaatir and those that go outside the scope of the mutawatir.
٣- The selection of Imam Ahmad Ibn Hanbal from the Shath (irregular) selections in the Qira'at(readings).
Keywords: selection - Ibn Hanbal - Qira'at (readings) – direction alqiraa'at - alqiraa'at alshaathah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمدك ربي حمداً يوافي نعمك ويكافيء مزيدك، ويليق بجلالك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم علىٰ خاتم أنبيائك ورسلك سيدنا محمد، وعلىٰ آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد

فإنَّ القرآن الكريم بقراءاته هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وقد اهتمت الأمَّة الإسلامية بنقله بقراءاته حفظاً في الصدور وكتابة في السطور منذ نزوله علىٰ قلب رسول الله ﷺ ، وسيستمر هذا الاهتمام إلىٰ أن يرث الله – تعالىٰ – الأرض ومن عليها تحقيقاً لوعده – سبحانه – في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر:٩].

وعِلْمُ القراءات مِنْ أشرف العلوم قدراً وأعظمها أثراً؛ لتعلقه بالقرآن الكريم من ناحية، ولكون القراءات محور بعض العلوم العربية والإسلامية من ناحية أخرىٰ، فلا يُنْكَر دورُها في اختلاف المفسرين في تفاسيرهم، ولا يَخْفَىٰ أثرُها في استنباط الأحكام عند الفقهاء والأصوليين، ولا يُجْحَدُ فضلُها علىٰ النُّحَاة واللغويين .

لذا تسابق علماء الأمة في تحصيل هذا العلم القيِّم بالإسناد المتصل إلىٰ رسول الله ﷺ، ودوَّنوا ما حصَّلوه في مؤلفاتهم المنظومة والمنثورة، وقد تفاوتت تلك المؤلفات في عدد ما حوته من قراءات، وما تضمنته من طُرُقٍ وروايات، ومن تلك المؤلفات كتاب "الكامل في

القراءات"[1] للإمام أبي القاسم الهُذَلِيّ[2] (ت: ٤٦٥ هـ) .

وقد لاحظتُ أثناء قراءتي في كتاب "الكامل" أن مؤلفه – رحمه الله – روىٰ فيه اختيارات الأئمة: أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل في القراءات، ورأيتُها مادةً خصبةً للبحث، ثم وقفت علىٰ بحث بعنوان "الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان والقراءات المنسوبة إليه جمعاً وتوثيقاً وتوجيهاً" إعداد/ د. مصطفىٰ أحمد إسماعيل، وعلىٰ بحث آخر بعنوان "قراءة الإمام الشافعي جمعاً وتوجيهاً"[3] إعداد/ د. هشام بن سليمان بن محمد الزريري، فقصدت إلىٰ اختيار الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١ هـ) في القراءات من خلال كتاب "الكامل" للهذلي، ورأيت من الفائدة أن أجمعه مع توجيهه في بحث مستقل.

---

(١) "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" حُقِّقَ في رسائل علمية بكلية القرآن الكريم بجامعة الأزهر، وطبع عدة طبعات منها: طبعة جامعة طيبة – المدينة المنورة – ط. الأولى، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م، تح. أ.د. عمر يوسف حمدان، وهو أكثر الكتب إسناداً لطرق النشر، فقد أسند منه الإمام ابن الجزري رحمه الله مائة واثنين وثلاثين طريقاً عن رواة القراء العشرة، قال ابن الجزري: "وألَّف كتابه الكامل جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألفاً وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقاً". ينظر: النشر ١/ ٣٤ .

(٢) يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهذلي ـ نسبة إلى قبيلة هذيل ـ البِسْكري ـ نسبة إلى بِسْكرة : في بلاد المغرب (٤٠٣ – ٤٦٥ هـ) قرأ على: أبي علي الأهوازي، وأبي العلاء الواسطي، وغيرهما، وقرأ عليه: أبو العز القلانسي، وغيره. ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٩٧-٤٠١ .

(٣) نشر في مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، المجلد ٣٠، العدد ١١٩، سنة ٢٠١٩م.

وبعد أن استخرتُ الله – عز وجل – شرعتُ في كتابة هذا البحث مستعينًا بالله – تعالىٰ، – متوكلاً عليه، سائلاً إيَّاه أن يجنبني الزَّلَل، وأن يعصمني من الخطأ والخلل، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقد اتبعت في بحثي المنهج الوصفي بأداتيه الاستقرائية والتحليلية، وسميتُه :

"اخْتِيَارُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْقِرَاءَاتِ
مِنْ كِتَابِ الْكَامِلِ لِلْهُذَلِيِّ : جَمْعًا وَتَوْجِيهًا"

وآثرتُ استخدام مصطلح الاختيار دون غيره في العنوان؛ لأن الإمام الهذلي استخدمه عند ذكر سنده إلىٰ الإمام أحمد[(١)]، ولاقتصار البحث علىٰ المواضع التي نصَّ الإمامُ الهذليُّ علىٰ نسبة القراءة فيها إلىٰ الإمام أحمد، ولا يعني هذا انفراد الإمام أحمد بقراءتها، بل وافقه غيرُه في أكثرها.

الدراسات السابقة:

وقفت علىٰ بحث في إحدىٰ وعشرين صفحة جمع القراءات المعزوَّة إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل من كتاب الكامل للهذلي، وعنوانه "الطريق الأمثل لقراءة الإمام أحمد بن حنبل من رواية عبد الله بن أحمد من طريق كتاب الكامل"[(٢)] أعدَّه د. توفيق إبراهيم ضمرة، وقد

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٣/ ٣٩٠، وقال الإمام الجزري في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل في غاية النهاية (١/ ١١٢): "وذكر – يعني الهذلي – له في كتابه الكامل اختياراً في القراءة".

(٢) طبعته المكتبة الوطنية، المملكة الأردنية، ط١: ١٤٣٥ هـ = ٢٠١٤م.

لاحظت فيه ما يأتي:

١- عنوان البحث غير مناسب لمحتواه؛ لأَنَّه لم يجمع قراءات الإمام أحمد في القرآن الكريم كله، وإنما اقتصر علىٰ المواضع التي عَزَاها الإمام الهذلي للإمام أحمد.

٢- ذكر الفرق بين وجوه شعبة من الشاطبية وقراءة الإمام أحمد[1]، ولم يفصل القراءات الموافقة للمتواتر عن الشاذة.

٣- القصور في تقييد القراءات المروية عن الإمام أحمد من حيث الضبط.

٤- مجانبة الصواب في ضبط بعض القراءات، وقد نبهت عليها أثناء البحث.

٥- عدم ذكر توجيه القراءات المروية عن الإمام أحمد .

لذا تميز بحثي في مناسبة عنوانه لمحتواه، وفي تقسيمه حيث فصلت القراءات الموافقة للمتواتر عن الشاذة، ونبهت علىٰ شذوذ القراءة الشاذة، وعزوت القراءات إلىٰ من قرأ بها، وقد ضبطت المواضع القرائية المَعْزُوَّة إلىٰ الإمام أحمد ضبطًا تامًا، وصححت ما ورد في البحث السابق من خطأ، وزدت عليه توجيه القراءات المَعْزُوَّة إلىٰ الإمام أحمد توجيهًا وافيًا، وتفسير الآية القرآنية أو بعضها الذي وردت فيه القراءة بما يوضِّح معناها، وتلك هي غاية عِلْمِ توجيه القراءات.

---

(١) ومما ذكره د/ توفيق ضمره في ذلك الفرق بين قراءة الإمام أحمد ووجوه شعبة في البسملة والمدين المتصل والمنفصل، ويرى الباحث أن هذا لا يدخل في اختيار الإمام أحمد من كتاب الكامل للهذلي .ينظر : الطريق الأمثل ص١١ .

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، يتبعها فهرس المصادر والمراجع .

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وعرض خطة البحث.

التمهيد: وفيه الكلام عن الإمام أحمد بن حنبل واختياره في القراءات.

المبحث الأول: اختيار الإمام أحمد بن حنبل من القراءات الموافقة للمتواتر.

المبحث الثاني: اختيار الإمام أحمد بن حنبل من القراءات الشاذة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات.

والله وليُّ التوفيق

التمهيد

الإمام أحمد بن حنبل واختياره في القراءات

أولاً: ترجمة الإمام أحمد بن حنبل:

اسمه: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

نسبه: نسب الإمام أحمد بن حنبل إلىٰ ذهل بن شيبان، فيقال في نسبه: الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ويصل نسبه إلىٰ جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا النسب فيه منقبة كريمة ورتبة عظيمة؛ حيث يلتقىٰ نسبه بالنبي ﷺ في نزار.

كنيته: أبو عبد الله.

مولده ونشأته: ولد الإمام أحمد ببغداد بعد حَمْل أُمِّه به بمرو في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة من الهجرة، وقد كان أبوه من أَجْنَاد مرو، فمات شابًا في عُمْر الثلاثين، وتربَّىٰ ولده أحمد يتيمًا، وتولَّت أُمُّه رعايتَه، ووجَّهته إلىٰ طلب العلم[1].

شيوخه: طلب الإمام أحمد العِلْمَ وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك وحماد بن زيد، فسمع من: إبراهيم بن سعد قليلا، ومن: هشيم بن بشير فأكثر وجوَّد، فعِدَّةُ شيوخه الذين روىٰ

(١) ينظر: طبقات الحنابلة ١/ ٧، ٨، ٣٤، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧ - ١٧٩، المقصد الأرشد ١/ ٦٤، ٧٠.

عنهم في "المُسْنَد" مائتان وثمانون ونيف[١]، وأكتفي بذكر شيوخه في القراءات، وهم:

١- أبو زكريا يحيىٰ بن آدم (ت: ٢٠٣ هـ).

٢- عبد الرحمن بن قلوقا.

٣- عبيد بن عقيل بن صبيح (ت: ٢٠٧ هـ).

٤- إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير (ت: ١٨٠ هـ)[٢].

تلاميذه: حدَّث عن الإمام أحمد: البخاريُّ حديثًا، وحدَّث عنه: مسلمٌ وأبو داود بجملة وافرة، وروىٰ أبو داود والنسائيُّ والترمذيُّ وابن ماجه عن رَجُل عنه.

وحدَّث عنه أيضًا: ولداه: صالحٌ وعبدُ الله، وابن عمِّه حنبل بن إسحاق، وعليُّ بن المديني، ويحيىٰ بن معين، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن يحيىٰ الذهلي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم كثير[٣].

وروىٰ عنه القراءة عرضًا ابنه عبد الله بن أحمد، ذكر ذلك الهذليُّ في كامله، ونقله عنه ابن الجزري في غاية النهاية[٤].

مكانته وثناء العلماء عليه: الإمام أحمد بن حنبل هو أحد علماء الإسلام المُبَرِّزين في الفقه والحديث، فهو صاحب المذهب الحنبلي، الذي هو أحد المذاهب المعتمدة عند أهل السنة، وقد اشتهر – رحمه

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٠-١٨١.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٣/ ٣٩١.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨١-١٨٣.

(٤) ينظر: الكامل للهذلي ٣/ ٣٩٠، غاية النهاية ١/ ١١٢.

الله - بغزارة علمه وقوة حفظه، وشَهِدَ له معاصروه ومَنْ بَعْدَهُم بالعِلْم والفضل، فهو الإمام العابد التقيُّ الوَرِعُ الزاهد، ومحنتُه مع القائلين بخلق القرآن شاهدة علىٰ عظمته وعلو مكانته، فقد ثبت علىٰ الصواب فلم يبرح، وتمسك بالحق فلم يتزحزح، وتحمل الضرب والسجن حتىٰ ظهر الحق وزهق الباطل ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ومن ثناء العلماء عليه ما يأتي:-

قال الإمام الشافعي: "أحمد إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الزُّهْد، إمام في الورع، إمام في السُّنَّة"[(١)].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: "انتهىٰ العِلْمُ إلىٰ أربعة: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيىٰ بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكان أحمد أَفْقَهَهُم فيه"[(٢)].

وقال علىٰ بن المديني: "أَعَزَّ الله الدين بالصِّدِّيق يوم الرِّدَّة، وبأحمد يوم المِحْنَة"[(٣)].

وقال أبو زرعة الرازي: "كان أحمد يحفظ أَلْف أَلْف حديث"، فقيل له: وما يدريك، قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب[(٤)].

وقال عبد الله بن أحمد: "كان أبي يقرأ القرآن في كل أسبوع ختمتين، إحداهما ليلاً والأخرىٰ نهاراً، وقد ختم القرآن في ليلة بمكة

(١) ينظر: المقصد الأرشد ١/ ٦٥.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩.
(٤) المقصد الأرشد ١/ ٦٦.

مُصَلِّيًا به"[١].

وقال الإمام الهذلي: "ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ضُرِبَ علىٰ القول بخلق القرآن فلم يفعل، وحبس عليه فلم يفعل، فانتهت السُّنَّة في زمانه إليه، وصار قدوة لمن بعده، حتىٰ رجع صاحب ذلك الوقت عن مذهبه، واندرست أعلام الاعتزال لقوله، وأُهْلِكَ بِشْرٌ وابنُ أبي داود وجَهْمٌ بدعائه، وكان مستجاب الدعوة"[٢].

وقال ابن مفلح: "أتت الدنيا فأباها، والرئاسة فنفاها، عُرِضَتْ عليه الأموال، وفُوِّضَتْ إليه الأحوال، وهو يَرُدُّ ذلك ويَتَعَفَّفُ، ويقول: أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء، ويقول: إنما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وإنما هي أيَّامٌ قلائل"[٣].

سنده في القراءات من طريق الهذلي: قرأ الإمام الهذلي علىٰ أبي القاسم علي بن محمد الزيدي الحنبلي (ت : ٤٣٣ هـ)، وقرأ الزيدي علىٰ أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك (ت: ٣٦٨ هـ) علىٰ عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت: ٢٩٠ هـ) علىٰ أبيه، وقرأ الإمام أحمد علىٰ أبي زكريا يحيىٰ بن آدم (ت: ٢٠٣ هـ) وعبد الرحمن بن قلوقا وعبيد بن عقيل (ت: ٢٠٧ هـ) وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير (ت: ١٨٠ هـ)، وقرأ الأربعة بأسانيدهم إلىٰ رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٠.

(٢) الكامل للهذلي ١/ ٢٤٠- ٢٤١.

(٣) المقصد الأرشد ١/ ٦٧-٦٨.

(٤) وهم الإمام الهذلي في إسناده اختيار الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الكامل مرتين: الأولى: في اسم شيخه الذي تلقى عنه هذا الاختيار، فسماه حمزة بن

مؤلفاته: أثرىٰ الإمام أحمد بن حنبل المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات القيِّمة، وأكتفىٰ بذكر أهمِّها في الجدول الآتي:-

اسم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الكتاب
الإيمان	حديث شعبة	مسند الإمام أحمد بن حنبل
التاريخ	الرَّدّ على الزنادقة والجهمية	الناسخ والمنسوخ
التفسير	الفتن	نفي التشبيه

وفاته: توفي الإمام أحمد بن حنبل ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين من الهجرة عن سبع وسبعين سنة[1].

ثانياً: اختيار الإمام أحمد في القراءات: قبل أن أتكلم عن اختيار الإمام أحمد بن حنبل في القراءات لابد أن أَذْكُرَ تعريف الاختيار في اللغة وفي اصطلاح القراء، وأُلْقِي الضَّوْء علىٰ نشأته، وأُبَيِّن شروطه .

الاختيار لغة: مصدرٌ للفعل اخْتَارَ، أو هو اسمٌ للشيء المُخْتَار، ومعناه: الانْتِقَاء والاصْطِفَاء، يُقَالُ: خَارَ الشيءَ خَيْراً، وخِيرَةً، وخِيَرَةً: انتقاه واصطفاه[2].

علي الزيدي، وصوابه علي بن محمد الزيدي، والثانية: في اسم من تلقى عنه الزيدي، فسماه عبد الله بن مالك، وصوابه أحمد بن جعفر بن مالك، وقد نبه على هذا ابن الجزري في غاية النهاية (٢/ ٤٠٠) ملتمساً العذر للهذلي، فقال: "وقد وقع له أوهام في أسانيده، وهو معذور في ذلك؛ لأنه ذكر مالم يذكره غيره، وأكثر القراء لا علم لهم بالأسانيد، فمن ثَمَّ حصل الوَهْم". ينظر: الكامل ٣/ ٣٩٠- ٣٩١ .

(١) المقصد الأرشد ١/ ٧٠.

(٢) ينظر: مادة [خ . ي . ر] في لسان العرب، المعجم الوجيز.

واصطلاحاً: هو أن يَعْمد مَن كان أَهْلا للاختيار إلىٰ القراءات المرويَّة فيختار منها ما هو الرَّاجِح عنده، ويُجَرِّد مِن ذلك طريقًا في القراءة علىٰ حِدَةٍ[١].

نشأة الاختيار عند القراء: ترجع نشأة الاختيار في القراءات إلىٰ النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري، فكل إمام من القراء في تلك الفترة نظر فيما تلقىٰ من حروف قرائية، واختار من بينها قراءته علىٰ أساس من مقياس معين انتهجه في الموازنة والاختيار.

فالإمام نافع (ت: ١٦٩ هـ) قرأ علىٰ سبعين من التابعين، واختار من قراءاته ومروياته عنهم ما اتفق عليه اثنان، وترك ما سواه، وهكذا سائر القراء، فإذا قلنا قراءة فلان، فهذا يعني: اختيار فلان؛ لأنه ما من إمام إلا وقرأ علىٰ عدد من الشيوخ، وروىٰ أوجهًا كثيرة، فاختار بعضها وداوم علىٰ قراءتها، وأقرأ الناس بها فنسبت إليه[٢].

يؤيد هذا قول القرطبي: "وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روىٰ وعلم وجهه من القراءات، ما هو الأحسن عنده والأولىٰ، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره، بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر، وكل

(١) ينظر: التبيان " للشيخ طاهر الجزائري " ١٢١، القراءات القرآنية ٢٧.
(٢) ينظر: القراءات القرآنية "للفضلي" ١٠٥، القراءات القرآنية "لقابة" ٢٦٢.

صحيح"[1].

ولم يكن الاختيار قاصراً علىٰ القراء السبعة أو العشرة، بل رويت اختيارات عن غيرهم، فقد وجد الكثير من النصوص في كتب علماء القرن الرابع الهجري تفيد أنهم انتهجوا الاختيار، ككتاب التذكرة لأبي الحسن بن غلبون (ت: ٣٩٩ هـ)، والمطالع لكتاب الكشف لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) يجد هذا المصطلح شائعًا، ولا سيما في نهاية توجيهه لكل قراءة[2].

والفرق بين اختيار القراء الأوائل واختيار من تبعوهم أنَّ اختيار القراء الأوائل كالعشرة ومن عاصرهم أو قاربهم كان ينبع من المصادر، واختيار أهل الأداء ممن تأخروا عن أولئك السلف الصالح من القراء كان اختياراً في نطاق حروف القراء السبعة أو العشرة[3].

ولا يجوز أن يختار قاريء معاصر مُلِمٌّ بالقراءات المتواترة من كل قراءة وجهًا وينسبها إلىٰ نفسه، بل لابد من الالتزام بقراءات الأئمة الذين تواترت قراءاتهم، وقد سئل الإمام ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ): لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفًا يُحْمَلُ عنه؟ فقال: نحن إلىٰ أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضىٰ عليه أئمتنا أحوج منا إلىٰ اختيار حرف يقرأ به من بعدنا[4].

والأولىٰ الحرص علىٰ التزام اختيار رضيته الأُمَّة وتعبدت به دهراً

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٦.
(٢) ينظر: مصطلحات علم القراءات ٢/ ٨٨٢.
(٣) ينظر: القراءات القرآنية "للفضلي" ١٠٦.
(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٣٧.

طويلاً، والبُعْدُ عن الاشتغال بأمر قد لا يترتب عليه كبيرُ فائدة، ولا ريب أنَّ أهمَّ ما تُصْرَفُ له الهِمَمُ العَليَّة هو التَّدَبُّر والعمل، والعاقل من انشغل بما ينفعه وملأ وقته بما يُصْلِحُه[1].

شروط الاختيار: المُلاحظ في التَّعريف الاصطلاحي للاختيار أنه لابدَّ من توفر شروط محددة في القاريء صاحب الاختيار وفي القراءة المختارة.

فشرط القاريء صاحب الاختيار: أن يكون أهلاً للاختيار، بمعنىٰ أن تتوفر فيه صفات معينة تؤهله لأن يختار من بين المرويات، وأذكر أهم المؤهلات التي يجب توفرها في صاحب الاختيار فيما يأتي:-

١- أن يكون قارئًا ضابطًا عارفًا بأصول القراءة واختلاف القراء.

٢-أن يكون متلقيًا للقراءة علىٰ وجهها الصحيح عن طريق الرِّواية والتحمل عن المتقدمين.

٣-أن تكون مروياته في القراءة متعددة، حتىٰ يختار من بينها؛ لأن من يروي رواية واحدة هو ناقل اختيار غيره، وليس بصاحب اختيار.

٤-أن يكون عارفًا باللغة، بصيراً بالعربية، حتىٰ يستطيع أن يختار بناءً علىٰ علم، ويوجه اختياره، ويحتج له إن أراد[2].

وشرط القراءة المختارة: أن تكون مما رُوِيَ، مع صحة سندها، وموافقتها لرسم المصحف العثماني، وقوة وجهها في العربية، فالاختيار لا مكان فيه للاجتهاد المنفلت من الرواية؛ لأن القراءة سُنَّة مُتَّبعة،

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٣٧.

(٢) ينظر: الاختيار عند القراء ٣٨ – ٣٩ .

يأخذها الآخِر عن الأول[1].

وقد تحققت شروط الاختيار للإمام أحمد بن حنبل، فهو قاريء ضابط عارف بأصول القراءة واختلاف القراء، ويدل علىٰ ذلك قول عبد الله: "سألت أبي أيُّ القراءة أحبُّ إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، قلت: فإن لم تكن، قال: قراءة عاصم"[2].

وقد ذكر الهذلي أنَّ الإمام أحمد تلقىٰ القراءات عن أربعة أئمة: أولهم: يحيىٰ بن آدم الذي قرأ علىٰ شعبة عن عاصم، وروىٰ عن الكسائي، وثانيهم: عبد الرحمن بن قلوقا الذي قرأ علىٰ حمزة وعلىٰ سليم عنه، وثالثهم: عبيد بن عقيل الذي قرأ علىٰ أبي عمرو بن العلاء وغيره، ورابعهم: إسماعيل بن جعفر الذي قرأ علىٰ شيبة بن نصاح ونافع وابن وردان وابن جماز[3].

ويظهر من هذا أنَّ اختيار الإمام أحمد قائم علىٰ التلقي والمشافهة، وأنَّ مروياته في القراءة متعددة، فسنده في القراءة متصل بستة من القراء العشرة[4]، وليس أدلُّ علىٰ مهارته في استظهار القرآن الكريم من قول ولده عنه إنَّه كان يختم القرآن كلَّ أسبوع ختمتين، إحداهما ليلاً، والأخرىٰ نهاراً، وأنه ختمه في ليلة في مكة مُصَلِّيًا به.

والإمام أحمد عالم باللغة، بصير بالعربية، وقد نقل المروزي أنه

---

(١) ينظر: الاختيار عند القراء ٣٤ – ٣٥، مصطلحات علم القراءات ٢/ ٨٨٦.

(٢) ينظر: النشر ١/ ٩٣.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٣/ ٣٩١، غاية النهاية ١/ ١٦٣، ٣٧٦، ٤٩٦، ٢/ ٣٦٣.

(٤) هم نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر.

كان لا يلحن في الكلام، ولمَّا نُوظِرَ بين يدي الخليفة كان يقول: كيف أقول ما لم يُقَلْ، وذكر أنه كَتَبَ في العربية أكثر مما كتب أبو عمرو بن العلاء[١].

والقراءات التي اختارها الإمام أحمد، والتي حواها هذا البحث، بلغ عددها تسعا وثلاثين قراءة، منها سبع عشرة قراءة موافقة للمتواتر، ومنها ثنتان وعشرون قراءة شاذة، ولم ينفرد الإمام أحمد إلا في قراءة واحدة منها، وهي قراءته (جِبْرِين) بالنون، لم أجد أحداً قرأ بها غيره، ولابُدّ أن يكون قد تلقَّاها؛ لأنَّ مثله في ورعه لا يقرأ شيئًا لم يتلقه.

وقد ذكر الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) عن الإمام أحمد أنه كان يستحسن كل ما ثبت عن النبي ﷺ، من غير كراهة لشيء منه، مع علمه بذلك، واختياره للبعض، أو تسويته بين الجميع، كما يُجَوِّزُ القراءةَ بكل قراءة ثابتة، وإن كان قد اختارَ بعضَ القراءةِ[٢].

فاختيار الإمام أحمد في القراءات صحيح، من حيث كونه بُنِي علىٰ أسس صحيحة وتحققت فيه شروط الاختيار، لكنه غير مقبول؛ لأنه غير متواتر، ولم تتحقق الصحة والقبول معًا إلا لاختيارات القراء العشرة من رواياتهم وطرقهم المتواترة.

فإذا كان الإمام الهذلي قد ذكر في كامله الإمام أحمد ضمن قراء الكوفة، وبدأ فضائهم بذكر فضائل الإمام عاصم ورواة قراءته، وختم فضائل رواة عاصم بالإمام أحمد بن حنبل، وذكر في إسناد اختيار الإمام

(١) ينظر: المقصد الأرشد ١/ ٦٦ – ٦٧.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/ ٦٩.

أحمد أنه قرأ علىٰ أربعة أئمة[1]، ليس منهم من يروي عن عاصم غير يحيىٰ بن آدم الذي روىٰ عن شعبة عن عاصم، فهذا يعني أن قراءة الإمام أحمد بن حنبل هي قراءة شيخه يحيىٰ بن آدم، والمواضع التسعة والثلاثون التي حواها هذا البحث - وهي التي خالف فيها الإمام أحمد شيخه المذكور وعزاها الهذلي إلىٰ الإمام أحمد - هي اختيار الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ.

واختيار الإمام أحمد في القراءات من الاختيارات غير المُعَلَّلة؛ ولعل السبب في هذا أنه يُعَدُّ من القراء الأوائل، فهو من أهل القرنين الثاني والثالث الهجريين، وقد عاصر ثلاثة من القراء العشرة، وهم الكسائي (ت: ١٨٩ هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥ هـ)، وخلف بن هشام (ت: ٢٢٩ هـ)، بخلاف اختيار القراء المتأخرين كمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) وبرهان الدين الجعبري (ت: ٧٣٢ هـ)، فهي اختيارات معللة .

ويُعَدُّ اختيار الإمام أحمد بن حنبل من الاختيارات الشاذة في القراءات، بمعنىٰ أنه لا تجوز القراءة به، وكون كثير من حروف هذا الاختيار موافقة لما تواتر عن بعض القراء العشرة لا يسوغ القراءة به، فهو كاختيار أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ) وأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٤٨ هـ) .

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ١/ ٢٢٥، وما بعدها، ٣/ ٣٩١ .

المبحث الأول
اختيار الإمام أحمد بن حنبل
من القـــراءات الموافـــقة للمتـــــواتر

الموضع الأول: ﴿أَءِنَّكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل ﴿أَءِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزة الأولىٰ وتسهيل الثانية ومدَّة بينهما[(١)]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[(٢)].

التوجيه: أنَّ الهمزة المفردة ثقيلة، وتكريرها أعظم استثقالاً، والعرب وكلُّ القراء يخففون الهمزة الثانية الساكنة في نحو (ءَادَم) و(أُوتِي) تجنبًا للثقل، فكان تخفيفها إذا كانت متحركة أولىٰ؛ لأن المتحرك أقوىٰ من الساكن وأثقل، وأيضًا فإن جماعة من العرب والقراء قد خففوا الهمزة المفردة ساكنة ومتحركة، نحو: (يُومِنُ) و(يُوَاخِذُ) فكان تخفيفها إذا تكرَّرَت أَوْلَىٰ وأَقْيَس .

والمدَّة بين الهمزتين المحققة والمسهلة، وهو ما يعبر عنه عند القراء بالإدخال أو الفَصْل، فلأنَّ الهمزة المخففة بزنة المحققة، ألا ترىٰ أنها تثبت في التقطيع العروضي؟، فلما قَدَّر بقاء الاستثقال علىٰ حاله مع التخفيف، أدخل بينهما ألفًا ليحول بين الهمزتين بحائل يمنع من اجتماعهما[(٣)].

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٣٧٩.
(٢) قرأ بها قالون وأبو عمرو وأبو جعفر . ينظر: الإتحاف ٤٧٢-٤٧٣.
(٣) ينظر: الكشف ١/ ٧٣-٧٤.

الموضع الثاني: (مُوصٍ) في قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:١٨٢].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (مُوصٍ) بسكون الواو وتخفيف الصاد(١)، وهي قراءة موافقة للمتواتر(٢).

التوجيه: أنه اسم فاعل من "أوصىٰ"، وقد جاء نحوه في قوله تعالىٰ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ ﴾ [النساء:١٢] و﴿تُوصُونَ﴾ [النساء:١٢]، و"أَوْصَىٰ" و"وَصَّي" لغتان، قال في الكشف: "لكن في التشديد معنىٰ التكرير والتكثير، والقراءتان متكافئتان حسنتان لكل واحدة منهما شاهد قد أُجْمِعَ عليه"(٣).

المعنىٰ: "﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ يعني: عَلِمَ ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ الجنف: أن يوصي بجَوْر وهو لا يتعمد الجَوْر، والإثم: أن يوصي بجَوْر وهو يعلم ذلك، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: بين الموصَىٰ له والورثة فلا إثم عليه، والجَنَفُ: الميل عن الحق، يقال: جَنِفَ يَجْنَفُ(٤).

الموضع الثالث: ﴿ غُرْفَةٌ ﴾ في قوله تعالىٰ:﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩].

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٠٣.

(٢) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر. ينظر: المهذب ١/ ٨٥.

(٣) الكشف ١/ ٢٨٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١/ ١٩٩، ويراجع: لسان العرب [ج . ن . ف].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (غَرْفَةً) بفتح الغين[١]، وهي قراءة موافقة موافقة للمتواتر[٢].

التوجيه: أنه مصدر منصوب، والمفعول به محذوف تقديره: إلا من اغترف ماءً غرفةً، أي: مرَّةً واحدةً، يقال: غَرَفَ الماءَ يغرِفُه ويغرُفُه: أخذه بيده كاغْتَرَفَه، والغَرْفَة: للمرَّة، وبالكسر: هيئة الغَرْف، وبالضم: اسم للمفعول، كالغُرَافَة؛ لأنك ما لم تغْرِفْهُ لا تُسَمِّيه غَرْفَة[٣].

والجملة استثناء من قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ [البقرة:٢٤٩]، لأنَّ المُغْتَرِف غَرْفَة من الشاربين، وإنَّما أخره عن هذه الجملة، وأتىٰ به بعْدَ جملة ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ [البقرة:٢٤٩]؛ ليقع بعد الجملة التي فيها المستثنىٰ منه مع الجملة المؤكدة لها؛ لأنَّ التأكيد شديد الاتصال بالمؤكد، وقد عُلِمَ أن الاستثناء راجعٌ إلىٰ منطوق الأولىٰ ومفهوم الثانية، فإن مفهوم ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ أن من طعمه ليس منه، ليعلم السامعون أن المغترف غرفة بيده هو كمن لم يشرب منه شيئًا، وأنَّه ليس دون من لم يشرب في الولاء والقُرْب، والمقصود من هذا الاستثناء الرخصة للمضطر في بَلَال ريقه[٤].

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٤٥.

(٢) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر. ينظر: الإتحاف ٢٠٧، المهذب ١/ ١٠٢.

(٣) ينظر: القاموس المحيط [غ . ر . ف]، الكشف ١/ ٣٠٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٤٩٧.

واعتراض الجملة الثانية ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ للعناية بها؛ لأنَّ عدم الذَّوْق منه رأسًا عزيمة والاغتراف رخصة، وبيان حال الأخذ بالعزيمة أهم من بيان الأخذ بالرخصة(١).

وعن ابن عباس: أن القومَ شربوا علىٰ قدر يقينهم، فالكفار شربوا شُربَ الْهِيم، وشَرِب العاصي دون ذلك، وانصرف من القوم ستةٌ وسبعون ألفًا، وبقي بعضُ المؤمنين لم يشرب شيئًا، وأخذ بعضهم الغَرفة، فأمَّا من شرب فاشتد به العطشُ وسقط، وأمَّا من ترك الماءَ فحَسُنَ حالُه، وكان أجلَد ممَّن أخذ الغَرْفَة، وحكمة هذ الامتحان: ليتخلص للجهاد المطيعون المخلصون، إذ لا يقع النصر إلَّا بهم(٢).

الموضع الرابع: ﴿نُنشِزُهَا﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (نُنشِرُهَا) بالراء وضم النون وكسر الشين(٣)، وهي قراءة موافقة للمتواتر(٤).

التوجيه: أنها من النَّشْر بمعنىٰ الإحياء، يقال: نَشَرَ الله الميتَ يَنْشُرُه نَشْراً ونُشُوراً وأَنْشَرَهُ، فَنَشَرَ الميتَ لا غير: أحياه، قال الأعشىٰ:

---

(١) روح البيان ١/ ٣٨٧.

(٢) البحر المديد ١/ ٢٤٤.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٤٩.

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب. ينظر: المهذب ١/ ١٠٥.

حَتَّىٰ يَقُولَ النَّاسُ مما رَأَوْا * يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[١]

وقد قرأ ابن عباس والحسن البصري (كَيْفَ نَنشُرُهَا) بفتح النون وضم الشين والراء، وقال الفراء من قرأ (كَيْفَ نُنشِرُهَا) بضم النون فإنشارها إحياؤها، واحتج ابن عباس بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٢] قال: ومن قرأها (نَنشُرُهَا)، فكأنه يذهب بها إلىٰ النَّشر والطَّيِّ، والوجه أن يقال: أنشر الله الموتىٰ فنَشَرُوا هم إذا حَيُوا، وأنشرهم الله أي: أحياهم، وأنشد الأصمعي لأبي ذؤيب:

لَوْ كَانَ مِدْحةُ حَيٍّ أَنْشَرَتْ أَحَداً * أَحيا أُبُوَّتَكَ الشُّمَّ الأَماديحُ[٢]

قال: وبعض بني الحرث كان به جرب فنشر أي: عاد وحيي، وقال الزجاج يقال: نشرهم الله، أي: بعثهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:١٥]، وفي الدعاء: "لك المحيا والممات وإليك النشور"[٣].

قال أبو حيان: "وقرأ الحرميان وأبو عمرو: (نُنشِرُهَا) بضم النون والراء المهملة، وقرأ ابن عباس والحسن وأبو حيوة وأبان عن عاصم: بفتح النون والراء المهملة، وهما من أَنْشَرَ ونَشَرَ بمعنىٰ: أحيا، ويحتمل نشر أن يكون ضد الطَّيّ، كأنَّ الموت طَيٌّ العظام والأعضاء، وكأنَّ جَمْعَ بعضها إلىٰ بعض نَشْر"[٤].

---

(١) البيت من السريع في ديوان الأعشى الكبير ١٤١، وهو من شواهد: الاشتقاق ٢٤٢، الخصائص ٣/ ٣٢٥، ٣٣٥، لسان العرب [ن . ش . ر].

(٢) البيت من البسيط لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١١٣، وهو من شواهد: بصائر ذوي التمييز ٥/ ٥٥، تاج العروس [ن . ش . ر].

(٣) ينظر: لسان العرب [ن . ش . ر].

(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٠٥.

وجملة (كيف ننشرها) حال من ﴿ٱلْعِظَـامِ﴾، والعامل فيها (انظر)، تقديره: انظر إلىٰ العظام مُحْياةً، أو بدل من ﴿ٱلْعِظَـامِ﴾ علىٰ حذف المضاف، والتقدير: انظر إلىٰ حال العظام، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة:٢٥٩] أي: نسترها به كما يُسْتَرُ الجسد باللباس، وإنما وحّد اللحم مع جمْع العظام؛ لأنَّ العظام مُتَفَرِّقَةٌ متعددةٌ صورةً، واللحم متَّصل متَّحد مُشاهدةً، ولعلَّ عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها مما لا تقتضي الحكمة بيانه[1].

الموضع الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿مُتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٧ ، ١٥٨].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (مِتُّم) بكسر الميم[2]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[3].

التوجيه: أنه علىٰ لغة أهل الحجاز وطَيْء في هذا الفعل، وهي مَاتَ يَمَات، علىٰ وزن فَعِل يَفْعَل كعَلِمَ يَعْلَمُ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل، قال الشاعر:

بُنَيَّتِي يَا سَيِّدةَ البَناتِ * عِيشي ولا يُؤْمَنُ أَن تَمَاتِي[4]

وعلىٰ هذه اللغة يقال في الماضي المسند إلىٰ التاءِ أو إحدىٰ أخواتها: "مِتُّ" بالكسرِ ليس إلا، نُقِلَت حركة الواو إلىٰ الفاء بعد

---

(١) روح البيان ١/ ٤١٢ .

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٠٦.

(٣) قرأ بها نافع وحمزة والكسائي وخلف. ينظر: الإتحاف ٢٣٠.

(٤) البيت من الرجز، ولم أقف على قائله، وهو من شواهد: الخصائص ١/ ٣٨١، الدر المصون ١/ ٨٠، ٩٧٠ .

سَلْبِ حركتِها دلالةً علىٰ بنيةِ الكلمة في الأصلِ، ثم حذفت الواو للساكنين، كما يُقال في خَافَ يَخَافُ: خِفْت، وهَابَ يَهَابُ: هِبت[١].

الموضع السادس: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام[٢]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[٣].

التوجيه: أنه عطفه علىٰ الوجوه والأيدي، فعَامِلُ النصب هو ﴿فَٱغْسِلُواْ﴾، والفَرْضُ في الرجلين الغَسْل دون المَسْح، وهو مذهب الجمهور والكافَّة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبي ﷺ، واللازم من قوله في غير ما حديث، وقد رأىٰ ﷺ قومًا يتوضؤون وأعقابهم تلوح فنادىٰ بأعلىٰ صوته مرتين أو ثلاثًا: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ"[٤]، النَّارِ"[٤]، فعطف علىٰ ما عَمِلَ فيه الغَسْل، وقَوَّىٰ ذلك أنَّه لما كانت

(١) ينظر: لسان العرب [م . و . ت]، الخصائص ١/ ٣٨٠ –٣٨١، الكشف ١/ ٣٦٢، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٤٧، البحر المحيط ٣/ ١٠٢، الإتحاف ٢٣٠ –٢٣١.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٦٢ .

(٣) قرأ بها نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب. ينظر: الإتحاف ٢٥١ .

(٤) حديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين ١/ ٤٤، رقم ١٦٣، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ١/ ٢١٤، رقم ٢٤١.

الأرجُل محدودة في الآية كان عطفها علىٰ ما هو محدود مثلها وهو الأيدي أَوْلىٰ من عطفها علىٰ غير محدود، وأيضًا فإنَّ الخفض يقع فيه إشكال، من إيجاب المَسْح أو الغَسْل، فعَطْفُه علىٰ الوجوه ونصبه يُخْرِجُ من الإشكال ويُحَقِّق الغَسْل الذي أريد به، وهو الفَرْض، وبالنصب قرأ علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم(١).

والفصل بين المعطوف وهو الأرجُل والمعطوف عليه وهو الوجوه لمراعاة الترتيب في فرائض الوضوء، فمسْحُ الرؤوس يكون بَعْد غَسْل الوجوه والأيدي إلىٰ المرافق، وقبل غَسْل الأرجُل إلىٰ الكعبين، ففي القول الكريم تقديم وتأخير لمراعاة الترتيب، وفي القرآن الكريم من هذا التقديم والتأخير كثير، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥] ثم قال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [المائدة:٥] وعطف المحصنات علىٰ الطيبات، وقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ [طه:١٢٩]، ثم قال: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه:١٢٩] فعطف الأجل علىٰ الكلمة وبينهما كلام، والتقدير: فاغسلوا وجوهَكم وأيديَكُم إلىٰ المرافق وأرجلَكُم إلىٰ الكعبين وامسحوا برؤوسِكم(٢).

---

(١) ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٢١٤ – ٢١٦، الكشف ١/ ٤٠٧، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩١.

(٢) ينظر: حجة ابن زنجلة ٢٢١، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩٢ – ٩٣ .

ونقل ابن زنجلة عن الزجاج أنه يجوز أن يُقْرَأَ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب علىٰ معنىٰ "واغسلوا"؛ لأن قوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ دلَّ علىٰ ذلك، وينسق بالغَسْل علىٰ المَسْح كما قال الشاعر:

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا * مُتَقَلِّداً سَيْفـًا وَرُمْحـًا[1]

وقراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالخفض تدل أيضـًا علىٰ وجوب غسل الأرجُل إلىٰ الكعبين في الوضوء؛ لأن الأرجُل وإن كانت مخفوضة بالعطف علىٰ الرؤوس لقربها إلا أنها مغسولة والرؤوس ممسوحة، وعلىٰ هذا جاءت الأدلة من السنة النبوية، وتحديد الأرجل في الوضوء مثل تحديد الأيدي المغسولة، فالمراد بالمَسْح في قراءة الخفض الغَسْل، والعرب تقول: تمسَّحْت للصلاة، أي: توضأت، وقال أبو زيد: المَسْح خفيف الغَسْل، فمَسْحُ الأَرْجُل مستعملٌ في الغَسْل نفسه.

ويجوز أن تكون الأرجل في قراءة الخفض معطوفة علىٰ الوجوه والأيدي، ولكنها خفضت لمجاورة الرؤوس المجرورة، والخفض بالمجاورة معروف في لغة العرب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦]، فالأليم صفة العذاب، لكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وتقول العرب: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، بخفض خرب، وحقُّه الرفع؛ لأنَّه صفة للجُحْر، لكنه خُفِضَ لمجاورته الضَّبّ، وبالخفض قرأ أنس بن مالك والحسن والحسين وغيرهم من الصحابة

(١) ينظر: حجة ابن زنجلة ٢٢٢-٢٢٣، والبيت من مجزوء الكامل، وهو لعبد الله بن الزبعري في ديوانه ٣٢، والمعنى: متقلداً سيفـًا وحاملاً رمحـًا، ونظيره قول الشاعر: علفتها تبنـًا وماءا بارداً، والمعنى: وسقيتها ماءً بارداً .

والتابعين رضي الله عنهم [1].

قال الإمام النووي: "اختلف الناس فيها علىٰ مذاهب، فذهب جمع من الفقهاء من أهل الفتوىٰ في الأعصار والأمصار إلىٰ أنَّ الواجب غسل القدمين مع الكعبين، ولا يُجْزِيء مسحُهما، ولا يجب المسح مع الغسل، ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتدُّ به في الإجماع [2].

وقال الإمام ابن حجر: "وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في صفة وضوئه أنه غَسَلَ رجليه، وهو المُبَيِّن لأمر الله...، ولم يثبُت عن أحد من الصحابة خلاف ذلك، إلا عن علي وابن عباس وأنس، وقد ثبت عنهم الرُّجُوع عن ذلك" [3].

وقال الإمام القرطبي: " فترجَّح قول من قال: إنَّ المراد بقراءة الخفض الغَسْل؛ بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغَسْل، والتَّوَعُّد علىٰ تَرْك غَسْلها في أخبار صحاح لا تُحْصَىٰ كثرة أخرجها الأئمة" [4].

ونلمح هنا أنَّ قراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالخفض تشير إلىٰ ضرورة الاقتصاد وعدم الإسراف في الماء عند غَسْل الأرجُل في الوضوء؛ لأنَّ

(١) ينظر: الكشف ١/ ٤٠٦، معالم التنزيل ٢/ ٢٣، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩٢- ٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٢٩.

(٣) فتح الباري ١/ ٢٦٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩٢، ويراجع بقية كلام الإمام القرطبي في بيان أن المرادَ بقراءةِ الخفضِ الغسلُ لا المسح في تفسيره الجامع ٦/ ٩٤- ٩٥ .

الأرجُل مَظنَّة الإسراف لتَعَرُّضِهَا للتُّرَاب ونحوه[١].

وحكىٰ الإمام القرطبي قولاً يفيد أن الخفض في الرَّجْلين إنَّما جاء مُفِيداً لمسحهما، لكن إذا كان عليهما خُفَّان، قال: "وتلقينا هذا القيد من رسول الله ﷺ؛ إذ لم يصح عنه أنه مَسَحَ رجليه إلا وعليهما خُفَّان، فبيَّن ﷺ بفعله الحال التي تُغْسَلُ فيه الرجل والحال التي تُمْسَح فيه، وهذا حسن"[٢].

قلت: ولا دليل في قراءة الخفض علىٰ المسح علىٰ الخُفَّين؛ لأنه في الآية الكريمة مُحَدَّدٌ بـ ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ والمسح علىٰ الخُفَّين غير مُحَدَّدٌ بذلك، لكن المسح عليهما ثابت بالسنة النبوية، قال القرطبي: "وقد أثبت المسح علىٰ الخُفَّين عدد كثير من الصحابة وغيرهم، وقد قال الحسن: "حدثني سبعون رَجُلاً من أصحاب النبي ﷺ أنهم مسحوا علىٰ الخُفَّين"[٣] أ.هـ، فلا ينبغي أن نُحَمِّل النَّصَّ القرآني ما لا يحتمل.

الموضع السابع: ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل برفع (الجروح)، والظاهر أنَّه مخالف لشعبة في هذا اللفظ، وموافق له في نصب (العين) ومعطوفاتها الثلاثة:

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٢/ ١١٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩٣.
(٣) المصدر السابق.

(الأَنْف والأُذُن والسِّن)[1]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[2].

التوجيه: أن نصب (العين) والأسماء الثلاثة بعدها بالعطف علىٰ اسم (أنَّ) لفظًا في قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ والجار والمجرور بعد كل منها خبر لما قبله، وهو من عطف الجمل علىٰ الجمل، عطف الاسم علىٰ الاسم والخبر علىٰ الخبر، نحو: إنَّ زيداً قائمٌ وعمرواً قاعدٌ.

ورفع (الجروح) علىٰ الابتداء والقطع مما قبله، و﴿قِصَاصٌ﴾ خبره، فيكون علىٰ القطع مما قبله ليس مما كتب عليهم في التوراة، إنما هو استئناف شريعة لأمَّة محمد ﷺ، وقد أجمعوا علىٰ الرفع علىٰ القطع في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩]، فكذلك (الجروح)، وقيل: إنما رُفِعَ بالعطف علىٰ موضع (النفس)، لأنَّ محلها رفع، أي: وكتبنا عليهم فيها: النفسُ بالنفس، أي: قلنا لهم: النفسُ بالنفس، وقيل: عطفه علىٰ المضمر المرفوع الذي في (بالنفس)، أي: أنَّ النفس مأخوذة هي بالنفس، والرفع في (الجروح) قوي من جهة الإعراب، والنصب قوي من جهة المعنىٰ[3].

وذكر الأشموني أن الوقف علىٰ ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ حسن علىٰ قراءة من

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٦٧- ٢٦٨.

(٢) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر. ينظر: الإتحاف ٢٥٣، المهذب ١/ ٢٠٠.

(٣) ينظر: الكشف ١/ ٤٠٩-٤١٠، منار الهدى ١/ ٢١٧، الإتحاف ٢٥٣ .

رفع (الجروحُ قصاص)، ثم يبتدئ به؛ لأنه غير داخل في معنىٰ ما عملت فيه ﴿أَنَّ﴾، وهي كلها مما كتب عليهم في التوراة، والوقف علىٰ ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ كاف مطلقًا سواء نصب (والجروح)، أو رفعها[١].

الموضع الثامن: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة:٩٥].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل بعدم تنوين (فَجَزَاءُ) وخفض لام (مِثْلِ)[٢]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[٣].

التوجيه: رفع (جَزَاءُ) في هذه القراءة له ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: فعليه جزاءُ، والثاني: أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فالواجبُ جزاءُ، والثالث: أنه فاعل لفعل محذوف، أي: فيلزمه أو يجب عليه جزاءُ[٤].

و(جَزَاءُ) مصدر مضاف لمفعوله تخفيفًا، فالأصل: فعليه أن يجزي المقتولَ من الصيد مثلَه من النعم، ثم حذف المفعول الأول لدلالة الكلام عليه، وأضيف المصدر إلىٰ المفعول الثاني[٥].

وقد أُشْكِلَ وَجْهُ هذه القراءة علىٰ البعض، فقال الإمام مكي:

---

(١) ينظر: منار الهدى ١/ ٢١٨.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٢٦١.

(٣) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر. ينظر: الإتحاف ٢٥٦، المهذب ١/ ٢٠٩.

(٤) ينظر: الدر المصون ٤/ ٤٢٠، الإتحاف ٢٥٦ .

(٥) ينظر: الدر المصون ٤/ ٤١٩ ، الإتحاف ٢٥٦.

"وبَعُدَت الإضافة في المعنىٰ؛ لأنَّه في الحقيقة ليس علىٰ قاتل الصيد جزاءُ مِثْلِ ما قتل، إنَّما عليه جزاءُ المقتولِ بعينه، لا جزاءُ مِثْلِه؛ لأنَّ مِثْلَ المقتول من الصيد لم يقتلْه، فيصير المعنىٰ علىٰ الإضافة: عليه جزاءُ ما لم يَقْتُل"(١).

ثم وجَّه الإمام مكي القراءة بأن العرب تستعمل في إرادة الشيء مثله، يقولون: إني أُكْرِمُ مِثْلَك، أي: أُكْرِمُكَ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[البقرة:١٣٧]، أي: بما آمنتم لا بمثله؛ لأنهم إذا آمنوا بمثله لم يؤمنوا، فالمراد بالمِثْلِ الشيء بعينه، قال تعالىٰ: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[الأنعام:١٢٢]، أي: كمن هو في الظلمات، والمَثَل والمِثْل واحد، ولو كان المعنىٰ علىٰ مِثْل وبابه لكان الكافر ليس في الظلمات، إنَّما في الظلمات مَثَلُه لا هو، فالتقدير علىٰ هذا: فجزاءُ المقتولِ من الصيد يحكم به ذوا عدل، وعليه يَصِحُّ معنىٰ الإضافة(٢).

وما ذكره الإمام مكي يعني به أن (مثل) زائدة، وهذا خلاف الأصل، فتوجيه القراءة بإضافة المصدر إلىٰ مفعوله (مثل) أَوْلَىٰ؛ لأن له فائدةً فقهية، وهي أنَّ مذهب الإمام أبي حنيفة أن يُقَوَّم الصيدُ المقتول قيمته من الدراهم، ثم يشتري القاتل بقيمته فداءً من النَّعَم ويهديه إلىٰ

---

(١) الكشف ١/ ٤١٨، قال الإمام السمين الحلبي: "ولا التفات إلى هذا الاستبعاد، فإن أكثر القراء عليها، وقد أجاب الناس عن ذلك بأجوبة سديدة، لما خفيت على أولئك طعنوا في المتواتر" . الدر المصون ٤/ ٤١٩.

(٢) ينظر: الكشف ١/ ٤١٨، ويراجع الحجة للفارسي ٣/ ٢٥٦-٢٥٧، الدر المصون ٤/ ٤١٩-٤٢٠.

الكعبة، واستدل بقراءة (فَجَزَاءُ مِثْلِ) مضافًا، أي: فعليه جزاءُ مِثْلِه، أو جزاءُ مثلِ المقتولِ واجبٌ عليه، ووجه الدليل في هذا أنَّك إذا أضفته يجب أن يكون المضاف غير المضاف إليه؛ لأنَّ الشيء لا يُضاف إلىٰ نفسه، قال: فيجب أن يكون المِثْلُ غير الجزاء[(١)]، وقد اختار الهذلي هذه القراءة، وعلَّل ذلك بقوله: "ليكون المثل غير الجزاء"[(٢)].

وقول أكثر أهل العلم أن جزاء الدَّابة من الصيد نظيره من النَّعَم، وقال أبو حنيفة: الواجب القيمة، ويجوز فيها المِثْل، وقد جعل النبي ﷺ في الضبع كبشًا، وأجمع الصحابة علىٰ إيجاب المثل، فقال عمر و عثمان و عليّ و زيد و ابن عباس و معاوية في النعامة بَدَنَة، وحَكَمَ أبو عبيدة وابن عباس في حمار الوحش ببَدَنَة، وحَكَمَ عمر فيه ببقرة، وحَكَمَ عمر وعليّ في الظبي بشاة، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه ليس المراد القيمة، ولو كان الواجب القيمة لاعتبروا صفة المُتْلَف التي تختلف بها القيمة إما برؤية أو إخبار، ولم يسألوا عن ذلك حال الحُكْم، ولأنَّهم حكموا في الحَمَامِ بشَاة، ولا يبلغ قيمتها، فليس المُرَاد حقيقة المُمَاثلة، فإنَّها لا تتحقق بين النَّعَم والصَّيد، لكن أُريدَت المُمَاثلة من حيث الصُّورة[(٣)].

الموضع التاسع: ﴿يُصۡرَفۡ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الأنعام:١٦].

---

(١) ينظر: حجة ابن زنجلة ٢٣٦-٢٣٧، الدر المصون ٤/ ٤١٩-٤٢٠.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٢٦١.

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٥٣٩.

قرأ الإمام أحمد بن حنبل ﴿يُصَرَفْ﴾ بضم الياء وفتح الراء[1]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[2].

التوجيه: أنه علىٰ بناء الفعل لما لم يُسَمّ فاعله، فأضمر فيه ذكرَ العذاب؛ لتقدم ذكره في الآية قبله في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:١٥]، وأقامه مقام الفاعل، فضمير "العذاب" هو النائب عن الفاعل، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود علىٰ ﴿مَّن﴾ ، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨] أي: في كونه أتىٰ بصيغة اسم المفعول المسند إلىٰ ضمير العذاب المذكور أوَّلاً[3].

واختار سيبويه هذه القراءة، وقال: "وكلَّمَا قلَّ الإضمار في الكلام كان **أَوْلَى**، فأما قراءة من قرأ (مَن يَصْرِفْ) بفتح الياء فتقديره: من **يَصْرِف** اللهُ **عَنْهُ** الْعَذَابَ، وإذا قُرِئ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ فتقديره: من يُصْرَفْ عَنْهُ العَذَابُ"[4].

قلت: وإنما بُنِيَ الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله في هذه القراءة للعِلْم بالفاعل، فالذي يَصْرِفُ العذاب عن من يشاء يوم القيامة هو الله عز

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٨٧.

(٢) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر . ينظر: المهذب ١/ ٢١٨ .

(٣) ينظر: الكشف ١/ ٤٢٥ ، الدر المصون ٤/ ٥٦٣، الإتحاف ٢٦١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٩٧-٣٩٨، ولعل القرطبي أراد قول سيبويه في الكتاب (١/ ٢٥٩): "فكلَّما كَثُرَ الإضمارُ كان أضعف".

وجل، ولا يقدر أحدٌ غيره - تعالىٰ - علىٰ صرف هذا العذاب، ونلمح أن العناية انصرفت إلىٰ صَرْف العذاب والتعجيل بالمسرَّة وإعلان الفوز، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال الشيخ أبو زهرة: "فالضمير في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ يعود علىٰ الله، ولهذا اختار ابن جرير الطبري قراءة البناء للفاعل، إذ يكون الصَّارف الدَّافع للعذاب هو الرحيم، فالنَّسَقُ يكون واضحًا، و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من إضافة الوقت إلىٰ الوقت، أي: ذلك في يوم ذلك الوقت، وهو يوم القيامة، وكان ذلك رحمة من الله؛ لأن العذاب يكون عظيمًا، وذهاب العذاب ودفعه رحمة، ومع ذلك فهناك الجنَّات التي تجري من تحتها الأنهار، والنعيم المقيم، فالرحمة إيجابية وسلبية، فالسلبية دَفْعُ العذاب، والإيجابية الهداية؛ فإنَّها في ذاتها رحمة، ثم ما يعقبها من جزاء، ثم ما هو فوق ذلك، وهو رضوان الله تعالىٰ، وذلك كله من الرحمة المتنوعة المتعددة، وهو الفوز المُبِين الواضح الذي لا يُمَاري فيه إلا جهول[1].

الموضع العاشر: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام:٩٦].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَجَاعِلُ) بصيغة اسم الفاعل المرفوع

(١) زهرة التفاسير ٥/ ٢٤٥٧.

الغير مُنَوَّن وخفض (الليل)[1]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[2].

التوجيه: أن القراءة بصيغة اسم الفاعل (جَاعِلُ) علىٰ المشاكلة لما قبله في اللفظ، فقبله: ﴿فَالِقُ﴾، فأجروا (جَاعِلُ اللَّيْلِ) علىٰ لفظ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ الذي تقدمه إذ أتىٰ في سياقه، ويُقَوِّي ذلك أنَّ حُكْمَ الأسماء أن تُعْطَف علىٰ أسماء مثلها، فكان عَطْفُ "فاعل" علىٰ "فاعل" أَوْلَىٰ من عَطْف "فِعْل" علىٰ "اسم"، و(الليْل) في هذه القراءة مجرور بالإضافة، والقراءتان بمعنىٰ واحد، فـ "جَاعِلُ" يُقَوِّيه ما قبله، و"جَعَلَ" يُقَوِّيه ما بعده[3].

والنصب في ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ علىٰ تأويل "وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا"، قال الزجاج: لأنَّ في (جَاعِلُ) معنىٰ (جَعَلَ)، وبه نُصِب ﴿سَكَنًا﴾ [4]، قال أبو عمرو: ونُصِبَ ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ علىٰ الإتباع لمَّا قلتَ: ﴿سَكَنًا﴾ أتبعتَ النصبَ النصبَ[5].

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣٠٤.

(٢) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب . ينظر: الإتحاف ٢٧٠ .

(٣) ينظر: حجة ابن زنجلة ٢٦٢، الكشف ١/ ٢٤٢.

(٤) وإنما لم يعمل (جَاعِل) في (سَكَنًا)، وكان العامل فيه فِعْلٌ مقدر دَلَّ عليه (جَاعِل)؛ لأن (جَاعِل) محتمل للمُضِيِّ، والماضي عند البصريين لا يعمل إلا مع أل، خلافًا لبعضهم في منع إعمال المعرف بها، فـ (سَكَنًا) منصوب بفعل دلَّ عليه (جَاعِل) لما ذُكِر، أو به على أن المراد (جَاعِل) مستمرٌّ في الأزمنة المختلفة. ينظر: الإتحاف ٢٧٠ .

(٥) ينظر: حجة ابن زنجلة ٢٦٢.

وقوله: (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) أي: خالق الضياء والظلام، كما قال في أول السورة: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غُرَّة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بظلام رواقه، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه، فبيَّن تعالىٰ قدرتَه علىٰ خَلْق الأشياء المتضادة المختلفة الدَّالة علىٰ كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنَّه ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ وقابل ذلك بقوله: (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا)، أي: ساجيًا مظلمًا تسكن فيه الأشياء، وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: يجريان بحساب مُقَنَّنٍ مُقَدَّر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كلٌّ منهما له منازل يَسْلُكُها في الصيف والشتاء، فيترتب علىٰ ذلك اختلاف الليل والنهار طُولاً وقِصَراً، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أي: الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يُمَانَعُ ولا يُخَالَفُ، العليم بكلِّ شيء، فلا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيراً ما يَخْتِمُ الله - تعالىٰ - كلامه بالعزة والعلم بعد ذكر خلق الليل والنهار والشمس والقمر[1].

الموضع الحادي عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس:٣٥].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (أَمَّن لَّا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٤- ٣٠٥ .

وتشديد الدال[1]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[2].

التوجيه: أن أصل هذا الفعل "يَهْتَدِي"، فنُقِلَت حركة التاء إلىٰ الهاء، وقُلِبَت التاء دالاً، وأُدْغِمَت الدال في الدال بعدها[3].

والقول الكريم في سياق بيان عجز آلهة المشركين، وعدم وجود ما يوجب اتخاذها آلهة مع الله عز وجل، فهي لم تبدأ الخلق، ولم تَقْدر علىٰ إعادة المخلوق بَعْد فنائه، والله - تعالىٰ - وحده هو القادر علىٰ ذلك من غير مُشَارك ولا مُعَاون، فكيف يُصْرَفُ هؤلاء المشركون وينحرفون عن عبادة المُتَفَرِّد بالابتداء والإعادة إلىٰ عبادة من لا يَخْلُق شيئًا وهم يُخْلَقُون.

والله - جل شأنه - هو الذي يَهْدِي للحق بالأدلة والبراهين، أو بالإلهام والتوفيق والإعانة إلىٰ سلوك أقوم طريق، وهؤلاء الشُّرَكَاء لا يَهْدُون أحداً إلىٰ الحق ببيانه وإرشاده، ولا بإلهامه والتوفيق إليه[4].

وقد خاطب الله - عز وجل - المشركين بأسلوب الاستفهام التقريري التوبيخي ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الله عز وجل ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ ويُفْرَدَ بالعبادة ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: لا يَهْتَدِي؛ لعجزه وضلاله وعدم علمه، وهم شركاؤهم ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ فالأصنام

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣٧٨- ٣٨٠.
(٢) قرأ بها ورش عن نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو في أحد وجهيه. ينظر: النشر ١/ ٢١٢.
(٣) ينظر: شرح الهداية ٢/ ٣٤٠.
(٤) ينظر: تفسير السعدي ٣٦٤.

وغيرها من الشُّرَكاء لا تَهْدِي ولا تَهْتَدِي إلا أن تُهْدَىٰ ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أيُّ شيء جعلكم تَحْكُمُون هذا الحُكْمَ الباطل، بصحَّة عبادة أحد مع الله سبحانه.

الموضع الثاني عشر: ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ [الرعد:٤].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَيُفَضِّلُ) بالياء[(١)]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[(٢)].

التوجيه: أنه إخبارٌ عن الله، أي: يُفَضِّلُ الله بعضها علىٰ بعض، وقد جرىٰ ابتداء الكلام من أول السورة بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الرعد:٢]، وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ [الرعد:٢]، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ [الرعد:٣] وفَعَلَ وفَعَلَ، فالكُلُّ مسند إلىٰ اسم الله، فَرَدُّوا قوله: (وَيُفَضِّلُ) علىٰ ما تقدمه من الغيبة، إذ كان في سياقه؛ ليأتلف نظام الكلام علىٰ سياق واحد، ولا فرق بين القراءتين في المعنىٰ[(٣)].

ومعنىٰ الآية: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾[الرعد:٤] هي الأرض العَذْبة الطَّيِّبة، تكون مجاورة أرضًا سبخة مالحة ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [الرعد:٤] الصِّنوان من النخيل:

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٤٢١.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف العاشر. ينظر: الإتحاف ٣٣٨.

(٣) ينظر: حجة ابن زنجلة ٣٧٠، الكشف ٢/ ١٩، الموضح ٢/ ٦٩٩.

النخلتان أو الثلاث من النخلات يكون أصلها واحدٌ ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ [الرعد:٤] هو ماء السماء ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ بعضها أطيب من بعض ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٤] فيعلمون أنَّ الذي صنع هذا قادرٌ علىٰ أن يُحْيي الموتىٰ[(١)].

الموضع الثالث عشر: ﴿ تُسَٰقِطْ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (تَسَاقَطْ) بفتح التاء والسين والقاف مع تخفيف السين[(٢)]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[(٣)].

التوجيه: أن الأصل "تَتَسَاقَطْ" فحذف إحدىٰ التاءين تخفيفًا، كما حذفت في ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ [عبس:٦] ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس:١٠]، والفعل علىٰ هذه القراءة لازم، وفاعله مضمر، أي: تَسَاقَط النخلةُ أو ثمرتُها، و﴿ رُطَبًا ﴾ تمييز أوحال، ونصبُه في هذه القراءة بـ (تَسَاقَطْ) فيه بُعْد؛ لأنه مستقبل "تَفَاعَل"، وهو في أكثر أحواله لا يتعدىٰ، وقد أجاز بعض النحويين نصبَه في هذه القراءة علىٰ المفعول به، قالوا: لأن "تَسَاقَطْ" مطاوع "سَاقَطْ"، كما أن "تَفَعَّلَ" مطاوع "فَعَّلَ"، فكما عدَّىٰ "تَفَعَّل" في نحو "تجرَّعته"، كذلك

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ٣٤٥-٣٤٦.
(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٤٩٧ .
(٣) قرأ بها حمزة وحده . ينظر: الإتحاف ٣٧٧، المهذب ٢/ ١١٧.

عدَّىٰ "تَفَاعَل" كما عدّىٰ "فَاعَل"[١].

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ يعني: أميليه إليك، والباء للتأكيد، أو افعلي الهَزَّ والإمالة به، أو هُزِّي الثمرة بِهَزِّه، والهَزُّ: تحريكٌ بجَذْبٍ ودَفْع، ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ روي أنَّها كانت نخلة يابسة، لا رأس لها ولا ثَمَر، وكان الوقت شتاء، فهزَّتها فجعل الله – تعالىٰ – لها رأسًا وخوصًا ورطبًا، وتسليتُها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة علىٰ براءة ساحتها، فإنَّ مِثْلَهَا لا يُتَصَوَّرُ لمن يَرْتَكِبُ الفَوَاحِش، والمنبهة لمن رآها علىٰ أنَّ من قَدَرَ أن يُثْمِرَ النخلة اليابسة في الشتاء قَدَرَ أن يُحَبِّلَهَا من غير رجل[٢].

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أنَّ مباشرة الأسباب في طلب الرزق أمرٌ واجب، وأنَّ ذلك لا يُنَافِي التَّوَكُّل علىٰ الله؛ لأنَّ المؤمن يتعاطىٰ الأسباب امتثالاً لأمر ربه مع عِلْمِه ويَقِينِه أنَّه لا يقعُ في مُلْكِه – سبحانه – إلا ما يشاؤُه ويُرِيدُه، وهنا قد أمر الله – تعالىٰ – مريم – علىٰ لسان مولودها – بأن تهُزَّ النخلة ليتساقط لها الرُّطَب، مع قدرته – سبحانه – علىٰ إنزال الرُّطَب إليها من غير هزٍّ أو تحريك[٣].

ومن أحسن ما نُظِم في ذلك قول الشاعر:

تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ فِي الأَمْرِ كُلِّهْ * وَلا تَرْغَبَنْ فِي الْعَجْزِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ * وَهُزِّي إِلَيْكِ الْجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ

(١) ينظر: حجة ابن زنجلة ٣٤٢-٣٤٣، الكشف ٢/ ٨٨، الإتحاف ٣٧٧ .
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي ٤/ ٩.
(٣) التفسير الوسيط للإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوي ٩/ ٣٥.

وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزَّةٍ * جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ[1]

الموضع الرابع عشر: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٧].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَأَنَّ هَذِه) بفتح الهمزة وتشديد النون[2]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[3].

التوجيه: لهذه القراءة ثلاثة توجيهات: الأول: علىٰ تقدير حذف لام الجر، والتقدير: "ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون" أي: فاتقون لهذا، فـ (أنَّ) في موضع نصب لحذف الخافض، أو في موضع خفض علىٰ إعمال الخافض المضمر، لكثرة حذفه مع (أنَّ) خاصة، ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: "لأن المساجد له فلا تدعوا مع الله أحداً"، والثاني: العطف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥٦]، أي: "إني بما تعملون عليم وبأَنَّ هذه أمتكم أمة واحدة"، والثالث: علىٰ أنَّ في الكلام حذفًا، تقديره: "واعلموا أنَّ هذه أمتكم"[4].

وقد جاءت الآية الكريمة بعد الأمر للرُّسُل أن يأكلوا الحلال

---

(١) الأبيات من الطويل، ولم أقف على قائلها، وهي من شواهد: بصائر ذوي التمييز ٦/ ١١٠، المستطرف ٢/ ١٢٧- ١٢٨.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٣١٩.

(٣) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب . الإتحاف ٤٠٤ .

(٤) ينظر: حجة ابن زنجلة ٤٨٨-٤٨٩، الموضح ٢/ ٨٩٦-٨٩٧، الدر المصون ٥/ ١٩١.

الطَّيِّب وأن يعملوا صالحًا بالاستقامة علىٰ ما توجبه الشريعة، والمُرَاد بالرُّسُل: محمد ﷺ وحده علىٰ مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة، وقال بعضهم: أراد به عيسىٰ، وقيل: أراد به جميع الرُّسُل عليهم السلام؛ لأنَّ الله بما يعملون عليم؛ ولأنَّ ﴿ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾ أي: مِلَّتُكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: مِلَّة واحدة، وهي الإسلام ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم، فأَمْرُكم واحد ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ فاحذرون[1].

الموضع الخامس عشر: ﴿أَلِيمٌ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ في الموضعين [سبأ:٥ ، الجاثية: ١١].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل ﴿أَلِيمٌ﴾ بالتنوين المضموم[2]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[3].

التوجيه: أنه نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾ علىٰ تقدير: لهم عذابٌ أليمٌ من رجزٍ، قال مكي: "وفيه بُعْد؛ لأن الرِّجْز هو العذاب، فيصير التقدير: لهم عذابٌ أليمٌ من عذاب، فهذا معنىً غير مُتَمَكِّن"[4].

---

(١) ينظر: معالم التنزيل ٥/ ٤٢٠ .

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٦/ ١٠٨.

(٣) قرأ بها ابن كثير وحفص ويعقوب. ينظر: الإتحاف ٤٥٧، ٥٠١، المهذب ٢/ ٢٤٥، ٣١٣ .

(٤) الكشف ٢/ ٢٠١ .

قال السمين الحلبي: "وقد أجيب عما قاله مكي: بأن الرِّجْز مطلق العذاب، فكأنه قيل: لهم هذا الصنف من العذاب من جنس العذاب، وكأنَّ أبا البقاء لحظ هذا حيث قال: "وبالرفع صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾، والرِّجْز مطلق العذاب"[1].

والقول بأن الرِّجْز هو العذاب أو مطلق العذاب غير دقيق؛ لأن الرِّجْز هو: العذاب المُثْقِل المُعْجِز، تأمَّل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الأعراف:١٣٣]، ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف:١٣٤]، وكلُّ (رِجْز) عذابٍ منزَّل من السماء فهو من هذا، والمعنىٰ المحوري لمادة [ر . ج . ز]: ارتعاد (حركة ترددية واهتزاز) عند النهوض أو الحَمْل بسبب الثِّقَل العظيم، كالبعير المُثْقَل يرتعد فخذاه عند القيام، وكذا السحاب يتحرك بِبُطْء وثِقَل، والقِدْر الثقيلة لا تُحْمَل إلا بجهد[2].

الموضع السادس عشر: ﴿غِشَٰوَةً﴾ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (غَشْوَةً) بفتح الغين وإسكان الشين وحذف الألف[3]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[4].

التوجيه: الغِشَاوَة والغَشْوَة لغتان بمعنىٰ الغطاء، قال الفراء:" كأن

(١) الدر المصون ٩/ ١٥٢ .
(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي [ر . ج . ز] ٢/ ٧٧٥-٧٧٦ .
(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٦/ ٢٢٢.
(٤) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف العاشر. ينظر: الإتحاف ٥٠٢ .

(غِشَاوَة) اسم، وكأن (غَشْوَة) شيء غَشِيَهَا - يعني: الأبصار - في وَقْعة واحدة، مثل: الرَّجْفة والرَّمْية"[١].

وشاهد هذه القراءة قول الشاعر:

لَئِنْ كُنْتِ أَلْبَسْتِنِي غَشْوَةً * لَقَدْ كُنْتُ أَصْفَيْتُكِ الْوُدَّ حِينَا[٢]

معنىٰ الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ تعجُّبٌ مِن حال مَن ترك متابعة الهُدَىٰ إلىٰ مطاوعة الهَوَىٰ، فكأنَّه عَبَدَهُ، أي: أَنظَرْتَ فرأيته، فإنَّ ذلك يُتَعَجَّبُ منه، وقُرِئ "آلهةً هَوَاهُ"؛ لأنَّ أحدَهم كان يستحسن حَجَراً فيعبده، فإذا رأىٰ أحسن منه رفضه إليه، فكأنَّه اتخذ آلهةً شتَّىٰ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ وخذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالمًا بضلاله وتبديله لفطرة الله - تعالىٰ - التي فطر الناس عليها ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ بحيث لا يتأثر بالمواعظ، ولا يتفكر في الآيات والنُّذُر ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ مانعةً عن الاستبصار والاعتبار ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: من بَعْد إضلاله - تعالىٰ - إيَّاه بمُوجَب تَعَاميه عن الهُدَىٰ، وتَمَاديه في الغَيِّ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: ألا تُلاحِظُون فلا تذكَّرون[٣].

الموضع السابع عشر: ﴿فَسُحْقًا﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٨.

(٢) البيت من المتقارب، ولم أقف على قائله، وهو في: أخلاق الوزيرين ٢٧٧، وفيه: "أَوْطَأْتِنِي عَشْوَةً"، وفي: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٦٩.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨/ ٧٣.

قرأ الإمام أحمد بن حنبل ﴿فَسُحْقًا﴾ بضم الحاء، وهو ما عبر عنه الهذلي بالتثقيل[1]، وهي قراءة موافقة للمتواتر[2].

التوجيه: سكون الحاء وضمها ﴿فَسُحْقًا﴾ في لغتان، والضم الأصل، والإسكان علىٰ التخفيف، فهو كـ "العنُق والعنْق" و"الطنُب والطنْب"، وهو مصدر، والأصل فيه الإسحاق؛ لأنَّ معناه: "أسحقهم الله إسحاقًا، ولكن أتىٰ ﴿فَسُحْقًا﴾ علىٰ الحذف، ومعناه: "فبُعْداً لهم"، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] أي: بعيد[3].

ومعنىٰ سَحَقَ الشيءَ: دقَّهُ أشدَّ الدَّقّ/ سَهَكَه، أي: أَنْعَمَه، ويستعمل سَحَقَ في معنىٰ البُعْد، قال تعالىٰ: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، وفي معنىٰ الهلاك كما في آية سورة الملك، وفي معنىٰ الدَّقّ[4].

وفي نصب ﴿فَسُحْقًا﴾ وجهان: الأول: أنه مفعول به، أي: ألزمهم الله سحقًا، والثاني: أنه منصوب علىٰ المصدر، تقديره: سَحَقَهُم الله

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٠١، وقد ذكر د/ توفيق ضمرة أن للإمام أحمد في (فسحقًا) من كتاب الكامل الوجهين إسكان الحاء وضمها، وقد جانبه الصواب؛ لأن الذي للإمام أحمد في هذا الحرف من الكامل هو ضم الحاء وجهًا واحداً، وقد عبر الهذلي عن ضم الحاء بقوله: "وَثَقَّلَ"، فتصحفت في الطبعة القديمة إلى "ونقل"، وفي آخر الكلام بالوجهين، فظن أن قراءة الإمام أحمد بالوجهين، والصواب أن له الضم فقط .

(٢) قرأ ابن جماز والكسائي وابن وردان بخلفهما بضم الحاء، وقرأ الباقون بإسكانها، وهو الوجه الثاني للكسائي وابن وردان. ينظر: المهذب ٢/ ٣٧٢ .

(٣) ينظر: الكشف ٢/ ٣٢٩.

(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي [س . ح . ق] ٢/ ٩٩٢-٩٩٣ .

سُحْقـًا، فناب المصدر عن عامله في الدعاء، نحو: جَدْعـًا له وعَقْراً، فلا يجوز إظهارُ عامِله، واختلف النحاة: هل هو مصدر لفعل ثلاثي أم لفعل رباعي جاء علىٰ حذف الزوائد؟ فذهب الفارسي والزجاج إلىٰ أنَّه مصدر "أسحقه الله"، أي: أَبْعَدَه، قال الفارسي: فكان القياس إسحاقـًا، فجاء المصدر علىٰ الحذف، كقوله:

وَإِنْ يَهْلِكْ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي[١].

أي تقديري، والظاهر أنَّه لا يحتاج لذلك؛ لأنَّه سُمِعَ: سَحَقَه الله ثلاثيـًا، وفيه قول الشاعر:

يَجُولُ بأطْرَافِ البِلادِ مُغَرِّبـًا * وتَسْحَقُهُ ريحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ[٢]

والذي يظهر أنَّ الزجاج والفارسي إنَّما قالا ذلك فيمن يقول من العرب أسحقه الله سُحقـًا[٣].

معنىٰ الآية: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ أي: فأقرُّوا بإجرامهم وتكذيبهم للرُّسل ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: فبُعْداً وهلاكـًا لأهل النار، قال ابن كثير: عادوا علىٰ أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، والجملة دعائية، أي: أبعدهم الله من رحمته وسحقهم سُحقـًا[٤].

---

(١) عجز بيت من الوافر ليزيد بن سنان في فرحة الأديب ١٤٣، وصدره: "فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْه"، وهو من شواهد: الحجة للفارسي ٢/ ١٢٩، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٤٩ .

(٢)من الطويل لامريء القيس في ديوانه ١٣٠، وهو من شواهد: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٣، اللباب لابن عادل ١٩/ ٢٤١، روح المعاني ٢٩/ ١٢ .

(٣) ينظر: الحجة للفارسي ٦/ ٣٠٧، الدر المصون ١٠/ ٣٨٤ .

(٤) ينظر: صفوة التفاسير ٣/ ٤١٧-٤١٨، ويراجع: تفسير القرآن العظيم لابن

المبحث الثاني
اختيار الإمام أحمد بن حنبل من القراءات الشاذة

الموضع الأول: قوله تعالىٰ: ﴿جِبْرِيلَ﴾[1].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (جِبْرِين) بكسر الجيم وبالنون في موضع اللام[2]، وهي قراءة شاذة مخالفة لخط المصحف، انفرد بها الإمام أحمد، فلم يقرأ بها أحدٌ غيره فيما وقفت عليه من مصادر.

التوجيه: أن (جبريل) اسم الملَك الذي كان ينزل علىٰ رسول الله ﷺ بالقرآن، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة؛ لأنه سرياني، وقيل: عبراني، ومعناه: عبد الله، أو عبد الرحمن، أو عبد العزيز[3]، وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن "جبر" و"ميكا" و"إسراف" هي كلها بالأعجمية بمعنىٰ: عبد ومملوك، و"إيل": اسم الله تعالىٰ، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمة: هذا كلام لم يخرج من إِلٍّ - يعني: من الله - وفي التنزيل: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨] في أحد التأويلين، فالإِلُّ هو الله - عز وجل - أو الرَّحِم، والذمة: العهد[4].

وقد تصرفت العرب في هذا الاسم علىٰ عادتها في الأسماء

كثير ٨/ ١٧٨ .

(١) البقرة: من الآية ٩٧، ٩٨، التحريم: من الآية ٤ .

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٢٣٧.

(٣) ينظر: تاج العروس [ج . ب . ر] .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٨، فتح القدير ٢/ ٣٨٧-٣٨٨ .

الأعجمية، كما قالوا إبراهيم وإبرهِم وإبراهِم وإبراهَام، ففيه أربع عشرة لغة، أفصحها وأشهرها (جِبْرِيل) كقِنْدِيل، وفي قراءة الإمام أحمد أبدلت اللام نونـًا، وهي لغة بني أسد[١].

الموضع الثاني: ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (غِشْوَةٌ) بكسر الغين وإسكان الشين وحذف الألف[٢]، والظاهر أن قراءته بالرفع؛ لأنَّ صاحب الكامل لم ينصّ له إلا علىٰ حذف الألف، ولم يذكره مع من قرؤوا بالنصب، وهي قراءة شاذة[٣].

التوجيه: أنَّها لغة في مصدر غشي، يقال: غُشِيَ علىٰ بصره غَشوة وغِشَاوَة بالحركات الثلاث في غَيْنِهما، ومعناه: الغِطَاء، ومنه: "غاشية السيف والسرج، أي: غطاؤه، فهؤلاء الكفار علىٰ أبصارهم غطاء وحجاب، فلا يرون الحق[٤].

ولم يُصَرَّف من الغِشَاوَة فعل بالواو، فمعناه معنىٰ ما لام فعله ياء، فهو من "غَشِيَ يُغْشِي" بدلالة قولهم: الغشيان، ومعناه: ما غطَّىٰ

---

(١) ينظر: تاج العروس [ج . ب . ر]، جامع البيان للطبري ٢/ ٣٨٩، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٨٩، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٧-٣٨، روح المعاني ١/ ٣٣٢.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٢- ١٣.

(٣) من غير نسبة في إعراب القراءات الشواذ ١/ ١١٨.

(٤) ينظر: تاج العروس [غ . ش . ي]، الكشف والبيان للثعلبي ١/ ١٥١، الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ١٤٩.

الشيء وعلاه فغَمَرَه وسَتَرَه، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه:٧٨]، و﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١]، فواوه بدلٌ من الياء، كالجِبَاوة من جَبَيْت[١].

قال ابن كيسان: "ويجوز غَشوة وغِشوة، وأجودها غِشاوة[٢]، كذلك تستعمل العرب في كل ما كان مشتملاً علىٰ الشيء، نحو عِمَامَة وكِنَانَة وقِلَادة وعِصَابَة وغير ذلك"[٣].

فإذا كانت قراءة (غَشْوَة) بفتح الغين في قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية:٢٣][٤] قد وُجِّهَت بأن شيئًا غَشَىٰ أبصارهم في في دفعة واحدة ومرة واحدة[٥]، فإن قراءة "غِشْوَة" بكسر الغين هنا يُسْتَشْعَر منها هيئة هذا الغطاء الكثيف الذي غَطَّىٰ أبصارهم فحجب عنها نور الإيمان[٦].

والرفع فيه علىٰ أنه مبتدأ مؤخر، وخبره الجار والمجرور ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ قبله، وجاز الابتداء بالنكرة لكون الخبر جار ومجرور

(١) ينظر: الحجة للفارسي ١/ ٣٠٠ .
(٢) وهي التي اتفقت عليها طرق القراءات العشرة المتواترة في موضع سورة البقرة .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٩٢، ويراجع: لسان العرب [غ . ش . ا] .
(٤) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف . ينظر: الإتحاف ٥٠٢ .
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٢/ ٧٧ .
(٦) المعنى المحوري لمادة [غشو – غشى] هو: تَغَطِّي الشيء بكثيف يعمه . المعجم الاشتقاقي ٣/ ١٦١٨ .

متقدم علىٰ المبتدأ[١].

وقال أبو علي الفارسي: "وقراءة الرفع أَوْلىٰ؛ لأنَّ النصب إما أن تَحْمِلَه علىٰ (خَتَمَ) الظاهر، فيَعْرِض في ذلك أَنَّك حُلْتَ بين حرف العطف والمعطوف به، وهذا عندنا إنَّما يجوز في الشِّعْر، وإما أن تَحْمِلَه علىٰ فِعْل يدلُّ عليه (خَتَمَ) تقديره: "وجَعَلَ علىٰ أبصارهم"، فيجيء الكلام من باب: مُتَقَلِّداً سيفًا ورمحًا، وقول الآخر: علَفْتُها تِبْنًا وماءً بارداً، ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سَعَة واختيار، فقراءة الرفع أحسن، وتكون الواو عاطفة جملة علىٰ جملة"[٢].

وقد عطفت الجملة الاسمية علىٰ الجملة الفعلية في قراءة الرفع لزيادة التأكيد؛ لأنَّ الفعلية تدلُّ علىٰ التَّجَدُّد والحُدُوث، والإسمية تدلُّ علىٰ الثبوت، كأنَّ الغشاوة جِبِلِّيَّة فيهم، وفي تقديم الفعلية إشارة إلىٰ أنَّ ذلك قد وَقَعَ وفُرِغَ منه[٣].

والجملتان خبريتان تَؤُول دَلَالَتُهُمَا إلىٰ معنىٰ واحد، وهو مَنْعُهُم من الإيمان، فليس الخَتْمُ علىٰ القلوب والأسماع ولا الغشاوة علىٰ الأبصار هنا حقيقة كما توهَّمَه بعضُ المفسرين فيما نقله ابن عطية، بل ذلك جار علىٰ طريقة المجاز بأن جَعَلَ قلوبَهُم، أي: عقولَهُم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها، وجَعَلَ أسماعهم في اسْتِكَاكِهَا عن سماع الآيات والنُّذُر، وجَعَلَ أعينهم في عدم الانتفاع بما تَرَىٰ من

---

(١) ينظر: اللباب لابن عادل ١/ ٣٢١، روح المعاني ١/ ١٣٦.

(٢) ينظر: الحجة للفارسي ١/ ٣٠٩- ٣١٢، والنص المنقول هنا هو ما لخصه أبو حيان في البحر المحيط (١/ ١٧٧) من كلام أبي علي الفارسي .

(٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٧٦، روح المعاني ١/ ١٣٦.

المعجزات والدَّلائل الكونية، كأنَّها مختومٌ عليها ومُغَشًّىٰ دونها[1].

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف علىٰ قوله: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ بإعادة الجار لزيادة التأكيد حتىٰ يكون المعطوف وهو الأسماع مقصوداً بالختم؛ لأنَّ "علىٰ" مؤذنة بالمتعلق، فكأن ﴿خَتَمَ﴾ كُرِّرَ مرتين، وليس قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ خبراً مقدمًا لقوله: ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ فيكون: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ معطوفًا عليه؛ لأنَّ الغشاوة تناسب الأبصار لا الأسماع؛ ولأنَّ الختم يُنَاسب الأسماع كما يُنَاسب القلوب، إذ كلاهما يُشَبَّهُ بالوعاء، ويُتَخَيَّلُ فيه معنىٰ الغَلْق والسَّدّ، ألا تَرَىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية : ٢٣]؛ ولأنَّ تقديم قوله: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ دليلٌ علىٰ أنَّه هو الخبر؛ لأنَّ التقديم لتصحيح الابتداء بالنكرة، فلو كان قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ هو الخبر لاستغنىٰ بتقديم أحدهما، وأبقىٰ الآخر علىٰ الأصل من التأخير، فقيل: وعَلىٰ سمعهم غشاوة وعلىٰ أبصارهم[2].

وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنَّه قال في الآية: "الختم علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم، والغشاوة علىٰ أبصارهم"، والوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ تام علىٰ رفع ﴿ غِشَٰوَةٌ﴾[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٧٦-١٧٧، التحرير والتنوير ١/ ٢٥٤-٢٥٥.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٢٥٥ ، ٢٥٨ .
(٣) ينظر: الدر المنثور ١/ ١٥٥، منار الهدى ١/ ٥٨ .

الموضع الثالث: ﴿قَسْوَةً﴾[في قوله تعالىٰ:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾[البقرة : ٧٤].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (قَسَاوَةً) بألف بعد السين المفتوحة، وهي قراءة شاذة(١).

التوجيه: القساوة مصدر للفعل قَسَىٰ كالقَسْوَة، وهي الصَّلابة في كل شيء، وتأويل القَسْوة في القلب: ذَهاب اللِّين والرحمة والخشوع منه(٢).

قال الإمام القرطبي: "القَسْوَة: الصَّلابة والشِّدة واليبس، وهي عبارة عن خُلُوِّهَا – يعني: القلوب – من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالىٰ، قال أبو العالية وقتادة وغيرهما: المُرَاد قلوب جميع بني إسرائيل، وقال ابن عباس: المُرَاد قلوب ورثة القتيل؛ لأنَّهم حين حَيِيَ وأخبر بقاتله وعاد إلىٰ موته أنكروا قَتْله، وقالوا: كَذَبَ، بعد ما رأوا هذه الآية العظمىٰ، فلم يكونوا قط أعمىٰ قلوبًا، ولا أشدّ تكذيبًا لنبيهم منهم عند ذلك"(٣).

والآية توبيخ وتقريع لبني إسرائيل، فقد شبَّه الله – عز وجل – قلوبهم القاسية بالحجارة، ولم يشبهها بالحديد؛ لأنه قابلٌ للِّين، فإنَّه

---

(١) قراءة أبي حيوة وابن مقسم وأحمد بن حنبل ويزيد بن قطيب، وغيرهم. ينظر: شواذ القراءات للكرماني ٦٦، الكامل للهذلي ٥/ ٤٥.

(٢) ينظر: لسان العرب [ق . س . ا] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٦٢ – ٤٦٣ .

يلين بالنَّار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط[1].

وإنَّما لم يَقُل سبحانه: "أقسىٰ" لما في "أشدّ" من المبالغة والدلالة علىٰ اشتداد القسوتين واشتمال المُفَضَّل علىٰ زيادة، و" أو " عند أهل العربية للشَّك، والله - جلَّ ذِكْرُه - غير جائز في خبره الشَّك، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية، أنَّها عند أصحابها الذين كذَّبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله وعند من عَرَفَ شأنهم كالحجارة قَسْوَة أو أشدّ من الحجارة[2].

وقيل: إنَّ "أو" هنا للإبهام علىٰ المخاطب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧]، وكقول أبي الأسود الدؤلي:

أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَدِيداً * وَعَبَّاساً وَحَمْزَةَ أو عَلِيّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشَداً أُصِبْهُ * وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيّا[3]

قالوا: ولا شك أنَّ أبا الأسود لم يكن شَاكّاً في أنَّ حُبَّ من سَمَّىٰ رَشَدٌ، ولكنَّه أبهم علىٰ من خاطبه به، وقد ذُكِر عن أبي الأسود أنَّه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت! فقال: كلا والله! ثم انتزع بقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ:٢٤]،

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ١/ ٩٥ .
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٢/ ٢٣٥.
(٣) البيتان من الوافر لأبي الأسود في ديوانه ٢٩٣، وفيه "وَحَمْزَةَ وَالْوَصِيَّا"، و"وَفِيهِمْ أُسْوَةٌ إِنْ كَانَ غَيَّا".

فقال: أَوَ كان شَاكّاً من أخبر بهذا في الهادي من الضَّلال[١].

وقيل: "أو" في قوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾، بمعنىٰ، وأشدّ قَسْوَة، كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان: ٢٤] بمعنىٰ: وكَفُوراً، وكما قال جرير:

نَالَ الخِلافَةَ أَوْ كَانَت لَهُ قَدَراً * كَمَا أَتَىٰ رَبَّهُ مُوسَىٰ عَلَىٰ قَدَر[٢].

ثم ذكَّرهم الله - عز وجل - بما رَأَوْه من الرَّحمة الموجودة في الحجارة، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة : ٧٤] عندما ضَرَب موسىٰ الحجر بالعصا فانفجرت منه العُيُون، وذلك مَثَلٌ حِسِّي شَهِدُوه، فالرَّحمة تصيب الحجارة فيتفجَّر منها الأنهار، ويخرج منها الماء، ولكن قلوبكم إذا قَسَتْ لا يصيبها لين ولا رحمة ولا تخشع أبداً، والله - سبحانه وتعالىٰ - نزَّل عليكم التوراة، وأعطاكم من فضله ورحمته وستره ومغفرته الكثير، كان المفروض أن تلين قلوبكم لذكر الله[٣].

والفرق بيْن تَفَجُّر الأنهار من الحجارة وبيْن تشققها ليخرج منها

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/ ٢٣٥- ٢٣٦.

(٢) جامع البيان للطبري ٢/ ٢٣٦، والبيت من البسيط لجرير في ديوانه ١/ ٤١٦، والمراد: نال الخلافة وكانت له قدراً، فالشاهد فيه: استعمال "أو" بمعنى "و"، والبيت من شواهد: العقد الفريد١/ ٣٢٧، خزانة الأدب١١/ ٧٣.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي ١/ ٤٠٣.

الماء، عندما تتفجَّر الحجارة يخرج منها الماء، نحن نذهب إلىٰ مكان الماء لنأخذ حاجتنا، ولكن عندما تتفجَّر منها الأنهار فالماء هو الذي يأتي إلينا ونحن في أماكننا، وفرق بيْن عطاء تذهب إليه وعطاء يأتي إليك(١).

أما هبوط الحجر من خشية الله، فذلك حَدَثَ عندما تجلَّىٰ الله للجبل فجعله دكّـًا، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣]، فالحق – سبحانه - يُذَكِّرُهم كيف أن الجبل حين تجلَّىٰ الله - عز وجل - له هبط وانهار من خشيته جلَّ شأنه(٢).

وذُيِّلَت الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤]، وهو خطاب للمكذبين بآيات الله، والجاحدين نُبُوَّة رسوله محمد ﷺ، والمتقوِّلين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود، أنَّ الله ليس بغافل عما تعملون من أعمالكم الخبيثة، وأفعالكم الرَّديئة، ولكنَّه مُحْصِيها عليكم، فمُجَازِيكُم بها في الآخرة، أو مُعَاقِبُكم بها في الدنيا(٣).

الموضع الرابع: ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (ثُمَّ أَضْطِرُّهُ) بهمزة قطع مفتوحة وكسر

---

(١) ينظر: المصدر السابق .
(٢) ينظر: تفسير الشعراوي ١/ ٤٠٣-٤٠٤.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٢/ ٢٤٣.

الطاء من غير إدغام، وهي قراءة شاذة[١].

التوجيه: أن أصل هذا الفعل (أَضْطَرِرُهُ) براءين مكسورة فمضمومة، أُدْغِمَت الراء الأولىٰ في الراء الثانية بعد سَلْب حركتها ونقلها إلىٰ الطاء قبلها، فصارت (أَضْطِرُّهُ)، وكانت طاؤه في الأصل تاء الافتعال، فأُبْدِلَت طاء لوقوعها بعد الضاد، وبكسر الطاء قرأ أبو جعفر في ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾[٢] و﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام : ١١٩]، غير أنَّ الهمزة في قراءته همزة وصل، ويُبْدَأُ بها له مضمومة[٣].

وفاعل (قال) هو الله عز وجل، والمعنىٰ: أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا لمكة المكرمة بأن يجعلها الله بلداً يَأْمَنُ فيه أهله، وخَصَّ في دعائه من آمن من أهلها أن يرزقهم الله – عز وجل – من الثَّمَرات؛ لأنَّه كان بواد غير ذي زرع، قال الله – تعالىٰ – له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ أي: سأرزق الكافر أيضـًا قليلاً إلىٰ مُنْتَهَىٰ أجله، وذلك أنَّ الله – تعالىٰ – وَعَدَ الرِّزق للخلق كافَّة مؤمنهم وكافرهم، وإنَّما قيَّد بالقِلَّة؛ لأنَّ متاع الدنيا قليل، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ أي: أُلْجِئُه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المَرْجِعُ يصير إليه[٤].

---

(١) قراءة قتادة وابن محيصن وعبيد بن عقيل عن ابن كثير وأحمد بن حنبل. ينظر: الكامل للهذلي ٤/ ٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) ينظر: البقرة: ١٧٣، المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥.

(٣) ينظر: الإتحاف ١٩٨-١٩٩.

(٤) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ١٤٩.

الموضع الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلرِّيَـٰحَ ﴾[1].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (الرِّيَاح) بالجمع في رياح الرحمة، و(الرِّيح) بالإفراد في التَّسْخِير والعذاب[2].

التوجيه: قراءة (الرياح) بالجمع في مواضع للدَّلالة علىٰ اختلاف هبوبها، ولإتيانها من كل جانب، ولاختلاف أنواعها: الجنوب والصبا والشمال والدَّبور، وقراءتها بالتوحيد في مواضع؛ لأنَّها اسم جنس يدلُّ واحده علىٰ الجمع، كقولك: كَثُرَ الدِّرهمُ والدِّينارُ في أيدي الناس، والمُرَاد: الدَّرَاهمُ والدَّنَانيرُ[3].

ويحتج البعض للقراءات في لفظ "الريح" بأن النبي ﷺ قال حين رأىٰ ريحًا هبَّت: "اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا"[4]، لأنَّ رياح الرحمة ثلاثة، هي الجنوب والصبا والشمال، وريح العذاب واحدة هي الدبور، ولا وجه للاحتجاج بالحديث لضعفه، ولأنَّ من

---

(١) أول مواضعه المختلف فيها في سورة البقرة: من الآية ١٦٤.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٨٦، وقد اختلف القراء العشرة في لفظ (الريح) بين الإفراد والجمع في خمسة عشر موضعًا في القرآن الكريم، وللوقوف عليها يراجع: النشر ٢/ ١٦٨.

(٣) ينظر: حجة ابن زنجلة ١١٨-١١٩، الكشف ١/ ٢٧١.

(٤) حديث ضعيف جداً، أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ٤/ ٣٤١، رقم ٢٤٥٦، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢١٣- ٢١٤، رقم ١١٥٣٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: السلسلة الضعيفة ٩/ ٢٢٨- ٢٣٠، رقم ٤٢١٧، وقد أنكر هذا الحديث من حيث المعنى أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٣٧٩ – ٣٨٠.

القُرَّاء من قرأ في مواضع الرَّحمة بالإفراد، ومنهم من قرأ في مواضع العذاب بالجمع، وقد جاءت الريح الطيبة من الله رحمة، وجاءت الريح العاصف منه عذابًا في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس:٢٢]، كما ورد في السُّنَّة المطهرة النَّهْي عن سبِّ الريح، فلهذا كان الاحتجاج بما ذكرته أولاً أَوْلىٰ، وكون الإمام أحمد قرأ بالجمع في مواضع الرحمة، وبالإفراد في مواضع التسخير والعذاب، وضَبَطَ الهذلي روايته بهذا الضابط فلا بأس، والأمر راجع إلىٰ التلقي والمشافهة، والقراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَة[(١)].

الموضع السادس: ﴿كَاتِبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة:٢٨٣].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (كُتَّابًا) بضم الكاف وتشديد التاء مفتوحة بعدها ألف[(٢)]، وهي قراءة شاذة مخالفة لخط المصحف[(٣)].

التوجيه: أنه جمع كاتب، مثل شاهد وشُهَّاد وقائم وقُيَّام ونائم ونُيَّام[(٤)].

وروي عن ابن عباس "كُتَّابًا"، قال النحاس: هذه القراءة شاذة،

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٢٧١.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٦٤.

(٣) قراءة ابن مقسم في المصدر السابق، ويراجع: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٩٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ١/ ٢٨٦، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٩٢.

والعامة علىٰ خلافها، وقلَّما يخرج شيء عن قراءة العامة إلا وفيه مطعن، ونسق الكلام علىٰ كاتب، قال الله - عز وجل - قبل هذا: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وكُتَّاب يقتضي جماعة، قال ابن عطية: كُتَّابًا يحسن من حيث لكل نازلة كاتب، فقيل للجماعة: "وَلَمْ تَجِدُوا كُتَّابًا".

ونَفْيُ وجود الكاتب يكون بعدم أيِّ آلة اتفق، ونَفْيُ الكاتب أيضًا يقتضي نَفْيَ الكُتَّاب، فالقراءتان حسنتان إلا من جهة خط المصحف[1].

وقراءة (كُتَّابًا) مخالفة لرسم المصحف، قال الإمام الطبري: "والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا هي قراءة الأمصار: ﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا ﴾، بمعنىٰ: من يكتب، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين"[2].

والمعنىٰ: لما ذَكَر - سبحانه - مشروعية الكتابة والإشهاد لحفظ الأموال ودَفْع الرَّيْب عقَّب ذلك بذِكْر حالة العُذْر عن وجود الكاتب، ونصَّ علىٰ حالة السفر، فإنَّها من جُمْلَة أحوال العُذْر، ويُلْحَق بذلك كل عُذْر يقوم مقام السفر، وجَعَلَ الرِّهانَ المقبوضة قائمة مقام الكتابة، أي: فإن كنتم مسافرين ﴿ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا ﴾ في سفركم ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾، فالرَّهْنُ في السفر ثابت بنص التنزيل، وفي الحضر بفعل

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٤٠٧ - ٤٠٨.
(٢) جامع البيان للطبري ٦/ ٩٤.

رسول الله ﷺ، كما ثبت في الصحيحين أنه ﷺ رَهَنَ درعًا له من يهودي، ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة:٣٨٣] أي: إن كان الذي عليه الحق أمينًا عند صاحب الحق؛ لحسن ظنه به، وأمانته لديه، واستغنىٰ بأمانته عن الارتهان ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ ﴾ وهو المَدْيُون ﴿ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ أي: الدَّيْن الذي عليه ﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ [البقرة:٢٨٣] في أن لا يَكْتُمَ من الحق شيئا[(١)].

الموضع السابع: قوله تعالىٰ: ﴿ دُمْتَ ﴾ في جميع القرآن[(٢)].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (دِمْت) بكسر الدال[(٣)]، وهي قراءة شاذة[(٤)].

التوجيه: أنها علىٰ إحدىٰ لغتين: الأولىٰ: لغة أزد السراة دَامَ يَدَام، علىٰ فَعِل بكسرِ العين في الماضي وفتحِها في المستقبل، يقولون: دِمْتَ تَدَام، مثل خِفْتَ تَخَاف، قال الشاعر:

يامَيُّ لا غَرْوَ ولا مَلامَا * في الحبِّ إنَّ الحبَّ لَنْ يَدَامَا[(٥)]

الثانية: لغة تميم، دَامَ يَدُوم، علىٰ فَعِل بكسر العين في الماضي

---

(١) ينظر: فتح القدير ١/ ٣٤٨ .

(٢) آل عمران: من الآية ٧٥، المائدة: من الآية ١١٧، مريم: من الآية ٣١.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ١٨٦.

(٤) قراءة السلمي ويحيى وطلحة في شواذ القراءات للكرماني ١١٥، ويراجع: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٩ .

(٥) البيت من الرجز، ولم أقف على قائله، وهو من شواهد: الخصائص١/ ٣٨٠، ٢/ ٢٦٤، تاج العروس [د.و.م].

وضمها في المستقبل، يقولون: دِمْتَ تَدُوم، وذلك أنَّه لما أُسْنِدَ فعله الماضي إلىٰ التاء نُقِلَت كسرة الواو إلىٰ الدال للدَّلالة علىٰ أنَّ أصل عين الفعل في الماضي الكَسْر، ثم حُذِفَت الواو للتَّخلص من التقاء السَّاكنين[1].

ومادَّة [د . و . م] تدل علىٰ امتداد مكاني (ثم زماني) مع ثبات علىٰ حالة واحدة لا تتغير ولا تنقطع، ومنها الماء الدَّائم: الرَّاكد السَّاكن، ودَامَ المطر يَدُومُ: تتابع نُزُوله، ودَوَّمَ الطائر: حَلَّق (أي: دار) في السماء، ومن الدَّوَام عَدَمُ الانقطاع ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥][2].

الموضع الثامن: ﴿حُوبًا﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢] .

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (حَوْبا) بفتح الحاء[3]، وهي قراءة شاذة[4].

التوجيه: الحُوبُ والحَوْبُ والحَابُ: الإثم، فالحَوْب: مصدر حَاب، كقَالَ قَوْلاً، وقيل: فتح الحاء وضمها لغتان، فالضمّ لغة الحجاز، والفتح لغة تميم وغيرهم، و (الحَوْبَةُ) بالفتح: الخطيئة، وفي

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٨٨، الخصائص ١/ ٣٨٠، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٩، اللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٣٨٨ ، اللباب لابن عادل ٥/ ٣٣٤ .

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي ٢/ ٦٨٧-٦٨٨ .

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢١٦ .

(٤) قراءة الحسن البصري وابن حنبل وهارون عن أبي عمرو في المصدر السابق، ويراجع: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٦٤ .

الحديث: "رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبتي"[(١)]، والمادة تدلُّ علىٰ عَجْز أو ثِقَل مع ضَعْف، والأصل أنَّ الحَوْبة: كل حُرْمَة تضيع إن تركتها من أُمّ أو أُخْت أو ابنة أو غيرها، والرَّجُل الضَّعِيف، وكذلك المرأة إذا كانت ضعيفة زَمِنَة، والحَاجَة والمَسْكَنَة والفَقْر[(٢)].

ولمَّا كانت المادَّة تدلُّ علىٰ العَجْز، وكان الثِّقَل في العَجْز، عبَّر – سبحانه – بالحَوْب عن الإثم، من حيث إنَّ الإثم ثِقْل، كما عبَّر عن الذُّنُوب بالأثقال والأوزار، قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]، وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر:١٨][(٣)].

والضمير في ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ يَعُودُ علىٰ الأكل، وقيل: علىٰ التَّبديل، والأوَّل أَوْلىٰ لقربه منه، ويجوز أن يعود عليهما، وكان الإثم في هذا كبيراً؛ لأنَّه اعتداء علىٰ ضعيف، والاعتداء علىٰ الضعيف أكبر الإثم، ولأنَّه خيانة للأمانة وتضييع لنفس بشرية، وهي نفس اليتيم؛ لأنَّه إذا كان يُؤْكَلُ مالَه فمِمَّ يأكل؟؛ ولأنَّ ذلك يُنَشِّئُ اليتيم علىٰ النّفْرَة من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم ٢/ ٨٣، رقم ١٥١٠، والترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ٥/ ٥٥٤، رقم ٣٥٥١، وابن ماجة في سننه كتاب الدعاء، باب دعاء النبي ﷺ ٢/ ١٢٥٩، رقم ٣٨٣٠، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحديث في صحيح سنن أبي داود ٥/ ٢٤٤، رقم ١٣٥٣.

(٢) ينظر: مادة [ح . و . ب] في المحكم لابن سيده ٤/ ٣٠، المصباح المنير١/ ١٥٥، المعجم الاشتقاقي٢/ ٣٦٨.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي [ح . و . ب] ٢/ ٣٦٨ .

المجتمع، وفي ذلك شرٌّ مُسْتَطِير، ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء:٩][1].

إنَّ أكْلَ مالِ اليتيم كبيرةٌ من المُوبِقَات، ولقد سمَّىٰ الله - عز وجل - آكِلَ مال اليتيم مُكَذِّبًا بالدِّين، قال تعالىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون:١ ، ٢] ، ومعنىٰ ﴿ يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ يدفعُه بقُوَّة وعُنْف، سواء كان هذا الدَّفْع عن إطعام اليتيم والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه، والجزاء من جنس العمل، ففي القيامة تدفعُهم الملائكة إلىٰ جهنَّم دَفْعًا عنيفًا ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [الطور:١٤].

الموضع التاسع: ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء:١٤٨].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (ظَلَمَ) بفتح الظاء واللام[2]، وهي قراءة شاذة[3].

التوجيه: ظَلَمَ بفتح الظاء واللام فعل مبني للفاعل، والظُّلم بالضم:

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ١٦٩، زهرة التفاسير ٣/ ١٥٨٠ .

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٥٢.

(٣) قراءة الزعفراني وابن حنبل والشافعي عن ابن كثير والشيزري عن أبي جعفر والأصمعي عن نافع في المصدر السابق، وقراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وغيرهم في المحتسب ١/ ٢٠٣ .

وضْعُ الشيء في غير موضعه، والتَّصَرُّفُ في حق الغير، ومجاوزة حدِّ الشَّارع، وهو من قولهم: أرضٌ مظلومة: لم تُمْطَر، وظَلَمَ الناقة: نحرَها من غير علَّة، فأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣][(١)].

وفي الآية الكريمة يخبر – تعالىٰ – أنَّه لا يحبُّ الجهر بالسُّوء من القول، أي: يبغض ذلك ويَمْقُتُه ويعاقب عليه، ويشملُ ذلك جميع الأقوال السيئة التي تَسُوء وتُحْزِن، كالشَّتْم والقذف والسَّبّ ونحو ذلك، فإنَّ ذلك كلَّه من المنهيّ عنه الذي يُبْغِضُه الله، ويدلُّ مفهومها أنه – سبحانه – يحبُّ الحَسَن من القول كالذِّكْر والكَلام الطَّيِّب اللين.

والمعنىٰ علىٰ القراءة المتواترة ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ : أنَّه يجوز للمظلوم أن يدعوَ علىٰ من ظلمه ويتشكىٰ منه، ويجهرَ بالسُّوء لمن جَهَرَ له به، من غير أن يَكْذِبَ عليه، ولا يزيد علىٰ مظلمته، ولا يتعدَّىٰ بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعَفْوُه وعَدَمُ مقابلته أَوْلىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:٤٠][(٢)].

والمعنىٰ علىٰ قراءة (إِلَّا مَن ظَلَمَ): لا يحبُّ الله الجهرَ بالسُّوء من القول، إلا من ظَلَمَ فلا بأس أن يُجْهرَ له بالسُّوء من القول[(٣)]، وقال ابن جني: "لكن من ظَلَمَ فإنَّ الله لا يَخْفَىٰ عليه أمره، ودلَّ علىٰ ذلك قوله:

---

(١) ينظر: الكليات للكفوي ٥٩٤ – ٥٩٥، ويراجع: مادة [ظ . ل . م] في لسان العرب والمعجم الاشتقاقي ٣/ ١٤٠٠-١٤٠٤.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ٢١٢ .

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٩/ ٣٤٨ .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٨]"[(١)]، وقال العكبري: "إلا من ظَلَم فإن الله يُجَازيه"[(٢)].

وذكر النحاس في هذه القراءة ثلاثة معان: قول الضحاك: ما يفعلُ الله بعذابكم إلا من ظَلَمَ فإنَّه يُعَذِّبُه، وقيل: لا يَجْهَرْ أحدٌ بالسُّوء إلا من ظَلَم فإنَّه يَجْهَرُ به اعتداءً، وقول الزجاج: إلا من ظَلَم فقال سوءاً فإنَّه ينبغي أن تأخذوا علىٰ يديه[(٣)].

الموضع العاشر: قوله تعالىٰ: ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:١٧٣]

قرأ الإمام أحمد بن حنبل بالنون في الفعلين[(٤)]، وهي قراءة شاذة[(٥)].
شاذة[(٥)].

التوجيه: أنه علىٰ إسناد الفعلين إلىٰ الله - عز وجل - علىٰ جهة العظمة، وفي الحديث يقول الله - عز وجل - عن أعلىٰ أهل الجنة منزلة "أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر علىٰ قلب بشر، قال ﷺ: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... الآية ﴾

---

(١) المحتسب ١/ ٢٠٣.
(٢) إعراب القراءات الشواذ ٤١٧.
(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٥-٢٢٦.
(٤) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٥٥.
(٥) في شواذ القراءات للكرماني ١٤٨ "وعن الحسن (فسنحشرهم) (فنوفيهم) (ونزيدهم) (فنعذبهم) بالنون فيهم".

[السجدة:١٧] "[(١)].

وقد ذكر الله – عز وجل – في هذا الموضع أنه يحشر المستنكفين المستكبرين، ولم يذكر ما يفعل بهم، بل ذكر أولاً ثواب المؤمنين المطيعين، ثم ذكر آخراً عقاب المستنكفين المستكبرين، وإنما قدم ثواب المؤمنين علىٰ عقاب المستنكفين لأنهم إذا رأوا أولاً ثواب المطيعين ثم شاهدوا بعده عقاب أنفسهم كان ذلك أعظم في الحسرة[(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء:١٧٣] أي: جمعوا بين الإيمان المأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده، ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: الأجور التي رتبها علىٰ الأعمال، كُلٌّ بحسب إيمانه وعمله، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ من الثواب الذي لم تنله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر علىٰ قلوبهم، ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمشارب والمناكح والمناظر والسرور، ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رُتِّب علىٰ الإيمان والعمل الصالح[(٣)].

الموضع الحادي عشر: قوله تعالىٰ:﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٧٦، رقم ١٨٩.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١١/ ٩٥.
(٣) تفسير السعدي ٢١٦.

قَوۡمٍ ﴾[المائدة:٨،٢].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَلا يُجْرِمَنَّكُمْ) بضم الياء[١]، وهي قراءة شاذة[٢].

التوجيه: أنه لغة، يقال: جَرَمْتُ الشيءَ وأَجْرَمْتُهُ، وقيل: أَجْرَمْتُهُ: حملتُه علىٰ الجُرْم، فالجَرْمُ: القطع، ومنه شجرة جريمة: مقطوعة، وجَرَمَ النخلَ والتمرَ: صَرَمَه، والجُرْم: التعدي، والجُرْم الذنب الغليظ[٣].

وفي المعجم الاشتقاقي: " ومن وجوه المعنىٰ المحوري "جَرَم" بمعنىٰ: كَسَب، كما أن الجَرْح الذي أصله كَشْطُ الظاهر يستعمل في معنىٰ الكسب، فلان يَجْرَح لعياله، والجوارح: أعضاء الإنسان التي تَكْتَسِب، وهي عوامله من يديه ورجليه، والجوارح: ذوات الصيد من السباع والطير، يقال: فلان جريمة أهله: أي كاسبهم، وخرج يَجْرِم أهله، أي: يَكْسِبُهم، ويجترم: يكتسب ويطلب ويحتال، ومنه قالوا: جَرَم إليهم وعليهم جريمة، كما قالوا جنىٰ عليهم جناية، وجر عليهم جريرة، ثم من هنا يفسر:﴿ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم ﴾

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٥٨.

(٢) قراءة الأعمش في رواية جرير وأحمد بن حنبل والزعفراني والأصمعي عن نافع في المصدر السابق . ويراجع: المحتسب ١/ ٢٠٦، شواذ القراءات للكرماني ١٥٠ .

(٣) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ٤٢٧، مادة [ج . ر . م] في لسان العرب، المعجم الاشتقاقي ١/ ٣٠٨ .

[هود:٨٩] ، وكذلك ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة:٢، وكذا ما في ٨] بـ لا "يَكْسِبَنَّكُم"، كَسَبَ هنا بمعنىٰ: اقترف (الاعتداء)، مثل ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ [النساء:١١٢]، والفعل معدّىٰ لمفعولين، أما بضم ياء المضارعة فلا إشكال، لكنها فسرت بـ "لا يُدْخِلَنَّكُمْ في الجُرْم"، أي: من الإجرام"[(١)].

فالقراءة المتواترة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ من جَرَم الثلاثي، ومعنىٰ جَرَمَ عند الكسائي وثعلب: حَمَل، يقال: جَرَمه علىٰ كذا، أي: حَمَلَه عليه، فعلىٰ هذا التفسير يتعدَّىٰ جَرَم لواحد، وهو الكاف والميم، ولا يَحْمِلَنَّكُم بُغْضُكم لقَوْمٍ علىٰ اعتدائكم عليهم، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب ابن عباس وقتادة، ومعناه عند أبي عبيد والفراء كَسَبَ، ومنه: فلان جَرِيمَةُ أهله، أي: كَاسِبُهُم، وعن الكسائي أيضًا: أنَّ جَرَم وأَجْرَم بمعنىٰ كَسَب غيره، وعلىٰ هذا فيحتمل وجهين، أحدهما: أنه متعد لواحد، والثاني: أنه متعد لاثنين، كما أن كَسَب كذلك، وأما في الآية الكريمة فلا يكون إلا متعديًا لاثنين أولهما ضمير الخطاب، الثاني: ﴿أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ أي: لا يَكْسِبَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ لقَوْمٍ الاعتداءَ، فالمعنىٰ متقارب[(٢)]، قال الشاعر:

(١) المعجم الاشتقاقي [ج . ر . م] ١/ ٣٠٧.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة [ج . ر . م] ، الدر المصون ٤/ ١٨٨-١٨٩.

نَصَبْنا رَأْسَهُ في رَأْسِ جِذْعٍ * بما جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا[1]

والقراءة الشاذة "ولا يُجْرِمَنَّكُمْ"، من أَجْرَمْتُ الرباعي، وقيل: هو بمعنىٰ جَرَم، يقال: أَجْرَمَني كذا وجَرَمَني وجَرَمْتُ وأَجْرَمت، وقيل: أَجْرَمَ منقول من جَرَم بهمزة التعدية، وقد قيل: لا يُجْرِمَنَّكُمْ: لا يُدْخِلَنَّكُمْ في الجُرْمِ، كما يقال: أثمته، أي أدخلته في الإثم[2].

قال الزمخشري: "جَرَم يجري مجرىٰ كَسَبَ في تعديتِه إلىٰ مفعول واحد وإلىٰ اثنين، تقول: جَرَمَ ذنبًا، نحو: كَسَبَه، وجَرَمْتُه ذنبًا أي: كَسَبْتُه إياه، ويقال: أَجْرَمْتُه ذنبًا علىٰ نقل المتعدي إلىٰ مفعول بالهمزة إلىٰ مفعولين، كقولك: أَكْسَبْتُه ذنبًا، وعليه قراءة عبد الله: (ولا يُجْرِمَنَّكُمْ)، وأول المفعولين علىٰ القراءتين: ضمير المخاطبين، والثاني: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾"[3].

الموضع الثاني عشر: ﴿أَعَجَزْتُ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [المائدة:٣١].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (أعَجِزْتُ) بكسر الجيم[4]، وهي قراءة

---

(١) البيت من الوافر، ولم أقف على قائله، والشاهد فيه: أنه استعمل جَرَمَ بمعنى كسب، لكنه كسب بمعنى الاقتراف (الاعتداء)، وهذا واضح مما عوقب به المقترف في البيت . وهو من شواهد: الزاهر ١/ ٢٤٠، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٠، الدر المصون ٦/ ٣٠٤، روح المعاني ١٢/ ٣٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة [ج . ر . م] ، الدر المصون ٤/ ١٨٩.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢/ ١٩٣.

(٤) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٦٥.

شاذة[١].

التوجيه: أنه لغة شاذة في عَجَزَ، وإنما مشهور الكسر أن يقال: "عَجِزت المرأة"، أي: كَبُرت عجيزتها، واللغة الفصيحة بفتح الجيم، وهي أن يقال: "عَجَزْتُ" بالفتح في الماضي "أعجِزُ" بكسرِها في المضارع[٢].

والعَجْزُ: الضعف أو عدم القوة والقدرة، يقال: أَعْجَزَهُ الشيء: فاته وعَجَزَ عنه، وكذا كل يُعْجِزُ، واسم الفاعل مُعْجِز، ومعجزات الأنبياء تُعْجِزُ من يعارضهم، ومنه عَاجَزَهُ: سابقه؛ لأن كل واحد في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل أَعْجَزَهُ[٣].

﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ هي كلمة جَزَعٍ وتَحَسُّرٍ، والألف بدل من ياء المتكلم، والمعنىٰ: يا ويلتي احضري فهذا أوانك، والنداء وإن كان أصله لمن يتأتىٰ منه الإقبال وهم العقلاء، إلا أن العرب تتجوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتَّحَسُّر، ومثله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، والويل والويلة الهلكة ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ﴾ أي: عن أن أكون ﴿مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ تعجّب من عدم اهتدائه إلىٰ ما اهتدىٰ إليه الغراب، وقوله: ﴿فَأُوَٰرِيَ﴾ بالنصب عطف علىٰ ﴿أَكُونَ﴾، أي:

---

(١) قراءة الحسن وطلحة وأحمد وشبل في اختياره وابن الجلاء عن نصير طريق الطبراني والرازي في المصدر السابق، ويراجع: شواذ القراءات للكرماني ١٥٣، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٣٥.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١٦٨٤، الدر المصون ٤/ ٢٤٥.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي [ع . ج. ز] ٣/ ١٤٤٣.

أعجزت عن كوني مشبهًا بالغراب فمواريًا ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١] أي: علىٰ قتله لما كان من التَّحَيُّر في أمره، وحَمْلِه علىٰ رقبته مدة طويلة وغير ذلك، فلما كان ندمُه لأجل هذه الأسباب، لا للخوف من الله بسبب ارتكاب المعصية، لم يكن ندمه توبة، ولم ينتفع بندمه[١].

الموضع الثالث عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ) بضم العين وكسر الباء وفتح الدال ورفع التاء[٢]، وهي قراءة شاذة[٣].

التوجيه: (وعُبِدَ) علىٰ بناء الفعل لما لم يسم فاعله، كقولك: ضُرِبَ زيدٌ، و(الطَّاغُوتُ) بالرفع نائب الفاعل[٤].

وحكىٰ الإمام ابن جرير عن أبي جعفر القارئ[٥] أنه كان يقرؤها: (وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ) كما يقول: "ضُرِبَ عبدُ الله"، ثم استبعد معناها بقوله: "وهذه قراءة لا معنىٰ لها؛ لأن الله - تعالىٰ ذكره - إنما ابتدأ

---

(١) روح البيان ٢/ ٣٦١ .

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٧٤.

(٣) قراءة أبي معاذ عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي في شواذ القراءات للكرماني ١٥٧، وبغير نسبة في المحتسب ١/ ٢١٥، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٤٧ .

(٤) ينظر: المصدران السابقان.

(٥) قال القرطبي: "وقرأ أبو جعفر الرؤاسي "وَعُبِدَت الطَّاغُوتُ" على المفعول، والتقدير: وعُبِدَ الطاغوتُ فيهم". ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٣٦.

الخبر بذمّ أقوام، فكان فيما ذمَّهم به عبادُتهم الطاغوت، وأما الخبر عن أن الطاغوت قد عُبد، فليس من نوع الخبر الذي ابتدأ به الآية، ولا من جنس ما ختمها به، فيكون له وجه يوجَّه إليه في الصحة"[١].

وأشار الحافظ ابن كثير إلىٰ استبعاد الطبري لمعنىٰ القراءة، وبيَّن وجهها، فقال: "الظاهر أنه لا بُعْد في ذلك؛ لأن هذا من باب التعريض بهم، أي: وقد عُبِدَت الطَّاغُوتُ فيكم، وكنتم أنتم الذين تَعَاطَوا ذلك[٢].

قال الإمام الألوسي: "والمراد بالطاغوت عند الجبائىٰ العِجْلُ الذىٰ عَبَدَ اليهود، وعن ابن عباس - رضىٰ الله تعالىٰ عنهما - والحسن أنه الشيطان، وقيل: الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالىٰ، والعبادة فيما عدا القول الأول مجاز عن الإطاعة"[٣].

الموضع الرابع عشر: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل برفع (أَنفُسكمْ)[٤]، وهي قراءة شاذة[٥].

التوجيه: رفع (أَنفُسُكمْ) يخرج علىٰ وجهين: أحدهما: أن (أَنفُسُكمْ) مبتدأ مؤخر و(عَلَيْكُمْ) قبله في موضع الخبر، أي: لازمةٌ

---

(١) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٤٠-٤٤١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٧٥.

(٤) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٧٩.

(٥) قراءة الأصمعي عن نافع وقتيبة والكسائي عن أبي جعفر وابن حنبل في المصدر السابق. ويراجع: شواذ القراءات للكرماني ١٦٢.

عليكم أنفسُكم، أو حفظُ أنفسِكم لازمٌ عليكم، بتقدير مضاف في المبتدأ، والمعنىٰ علىٰ الإغراء، والوجه الثاني: أن يكون توكيداً للضمير المستتر في (عَلَيْكُمْ)؛ لأنها قائمة مقام الفعل، ولم تؤكد بمضمر منفصل إذ قد جاء ذلك قليلاً، ويكون مفعول (عَلَيْكُمْ) محذوفًا لدلالة المعنىٰ عليه، والتقدير: عليكم أنتم أنفسُكم صلاحَ أحوالكم وهدايتكم[1].

فقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ الفعل مرفوع علىٰ أنه كلام مستأنف في موضع التعليل لما قبله، أو لمجرد الإخبار، أو هو مجزوم علىٰ جواب الأمر في (عَلَيْكُم)، وإنما ضُمَّت الراء إتباعًا لضمة الضاد، وضمة الضاد هي حركة الراء الأولىٰ نقلت للضاد لأجل إدغامها في الراء بعدها، والأصل: (لا يَضْرُرْكُمْ)، ويجوز أن يكون الجزم علىٰ أنه نهي مستأنف، والعمل فيه ما تقدم[2].

وليس في الآية ما يدل علىٰ سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدينية فليس بمهتد، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، وقد دلَّت الآيات القرآنية والأحاديث المتكاثرة علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبًا مضيَّقًا متحتمًا، فتُحْمَل هذه الآية علىٰ من لا يَقْدِر علىٰ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من

(١) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٤٢، الدر المصون ٤/ ٤٥١-٤٥٢، روح المعاني ٧/ ٤٥.

(٢) ينظر: الدر المصون ٤/ ٤٥٢، روح المعاني ٧/ ٤٥.

الأحوال، أو يخشىٰ علىٰ نفسه أن يحلَّ به ما يضرُّه ضرراً يسوغ له معه الترك[١].

وقال أبو بكر الصديق رضىٰ الله عنه: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب"[٢].

الموضع الخامس عشر: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[الأنعام:٥٦].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (ضَلِلْتُ) بكسر اللام الأولىٰ[٣]، وهي قراءة شاذة[٤].

التوجيه: كسر لام (ضَلَلْت) وفتحها لغتان، والكسر لغة تميم، والفتح لغة أهل الحجاز، وهي الأفصح، والضلال والضلالة: ضد الهدىٰ، يقال: ضَلَلْتَ تَضِلُّ، هذه هي الفصيحة، وضَلِلْتَ تَضَلُّ ضلالةً

---

(١) فتح القدير ٢/ ٩٦.

(٢) زهرة التفاسير٥/ ٢٣٧٨، والحديث أخرجه أحمد في المسند١/ ٢٢١، رقم ٥٣، وبنحوه أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/ ١٣٢٧، رقم ٤٠٠٥، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٩٣.

(٤) قراءة طلحة والقورسي عن أبي جعفر وشبل في اختياره وأحمد بن حنبل في المصدر السابق . يراجع: شواذ القراءات للكرماني ١٦٧، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٨٢.

وضلالاً، قال اللحياني: "أهل الحجازِ يقولون: ضَلَلتُ أَضِلُّ، وأهل نجد يقولون: ضَلِلْتُ أَضَلُّ، وقد قُرِؤُوا جميعًا"[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه، مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية، أي: إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ عطف علىٰ ما قبله، والعدول إلىٰ الجملة الاسمية للدلالة علىٰ الدوام والاستمرار، أي: دوام النفي واستمراره، لا نفي الدوام والاستمرار، أي: ما أنا في شيء من الهدىٰ حين أكون في عدادهم[2].

الموضع السادس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] .

قرأ الإمام أحمد بن حنبل بالتنوين المرفوع في الكلمات الثلاث (حَبَّة) و(رَطْب) و(يَابِس)[3]، وهي قراءة شاذة[4].

التوجيه: الرفع في الكلمات الثلاث عطفًا علىٰ موضع ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾ قبلها، فهو مخفوضٌ لفظًا مرفوعٌ محلاً، وقيل الرفع بالابتداء، والخبر

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم [ض . ل . ل] ٨/ ١٥٣، فتح القدير ٢/ ١٣٩.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٣/ ١٤١.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٢٩٣.

(٤) قراءة الهاشمي وابن نصر جميعًا عن نصير والشافعي وأحمد بن حنبل في المصدر السابق. يراجع: شواذ القراءات للكرماني ١٦٩، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٨٢-٤٨٣ .

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، وهو الأنسب بالمقام؛ لشمول الرَّطْب واليَابِس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط[١].

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقىٰ عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت ظهراً لبطن إلىٰ أن سقطت علىٰ الأرض، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: هو الحَبُّ المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة في أسفل الأرضين، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرَّطْبُ الماء واليَابِسُ البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حيّ ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: أن الكُلَّ مكتوب في اللوح المحفوظ[٢].

الموضع السابع عشر: ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[الأنعام:٩٢].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (صَلَوَاتِهِمْ) بواو مفتوحة بعد اللام في كل القرآن، إلا فيما بعده ﴿خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] و﴿دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣][٣]، وقراءة (صلاتهم) بالجمع في موضع الأنعام هذا

(١) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٨٢-٤٨٣، إرشاد العقل السليم ٣/ ١٤٣.

(٢) معالم التنزيل ٣/ ١٥١.

(٣) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣٠٣.

شاذة مخالفة لخط المصحف[1].

التوجيه: أنه جمع صلاة؛ والمراد المحافظة علىٰ الصلوات الخمس، فإن قيل: الإيمان بالآخرة يحمل كل الطاعات، فما الفائدة في تخصيص الصلاة؟ فالجواب: أنَّ المقصود التنبيه علىٰ أنَّ الصلاة أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالىٰ، ألا ترىٰ أنَّه لم يقع اسم الإيمان علىٰ شيء من العبادات الظاهرة إلا علىٰ الصلاة، كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٤٣] أي: صلاتكم ، ولم يقع اسم الكفر علىٰ شيء من المعاص إلا علىٰ ترك الصلاة، قال عليه الصلاة والسلام: "من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر"[2]، فلما اختصت الصلاة بهذا النوع من التشريف خصها الله – تبارك وتعالىٰ – بالذكر ها هنا[3].

الموضع الثامن عشر: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ﴾ [الأنعام:٩٩].

---

(١) قراءة ابن مقسم والزعفراني وأحمد بن حنبل والجعفي عن أبي بكر وغيرهم في المصدر السابق، وبها قرأ الحسن البصري وخلف عن يحيى عن أبي بكر شعبة فيما تفرد به أبو على المالكي في روضته عنه، ومواضع (الصلاة) المختلف فيها بين الإفراد والجمع في القراءات المتواترة ثلاثة، هي في التوبة [١٠٣] وهود [٨٧] والمؤمنون [٩]، وقد رسمت الثلاثة بالواو. ينظر: المقنع ٦٠-٦١، البحر المحيط ٤/ ١٨٣، الإتحاف ٢٦٩ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط٣/ ٣٤٣، رقم ٣٣٤٨، وقال الألباني: ضعيف. السلسلة الضعيفة ٦/ ١١.

(٣) ينظر: اللباب لابن عادل ٨/ ٢٨٦ .

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وجناتٌ) بالتنوين المرفوع[١]، وهي قراءة شاذة[٢].

التوجيه: رفع (جَنَّاتٌ) له ثلاثة أوجه: الأول: أنها فاعل لفعل محذوف، والتقدير: وَيَخْرُجُ بِهِ جَنَّاتٌ. الثاني: أنها مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: وثَمَّ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ، أي: مع النَّخْل، أو ولَهُمْ جَنَّاتٌ، أو وَمِنَ الْكَرْمِ جَنَّاتٌ، أو جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ جَنَاهَا، فجرىٰ علىٰ التقدير الأخير مجرىٰ قول العرب: "أكرمتُ عبدَ الله وأخوه"، تريد: وأخوه أكرمته، قال الفرزدق:

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ * حُصَيْنٍ عَبِيطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْخَمْرُ[٣]

الثالث: أنها معطوفة علىٰ ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ علىٰ معنىٰ: وحَاصِلَةٌ أو ومُخْرَجَةٌ من النخل قنوانٌ وجناتٌ من أعناب، وهذا العطف علىٰ أن لا يُلْحَظَ فيه قيدُ من النخل، فكأنه قال: ومن النخل قنوانٌ دانيةٌ وجناتٌ من أعناب حاصلةٌ، أو معطوفة علىٰ ﴿ قِنْوَانٌ ﴾، تغليبًا للجوار، كما قال الشاعر:

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣٠٦.

(٢) قراءة الأعمش وأبو بحرية وأبو حيوة وابن أبي عبلة والبرجمي وأحمد بن حنبل وغيرهم في المصدر السابق.

(٣) ينظر: الدر المصون ٥/ ٧٦، والبيت من الطويل للفرزدق في ديوانه: ١/ ٤٢٢، والشاهد: أنه رفع "الخمر" وهي مفعولة، على معنى: والخمرُ أحلَّها الطعنة، أو وحلَّت له الخمرُ، والعبيطات: جمع العبيطة، وهي الذبيحة من غير عِلَّة، والسَّدائف: جمع السَّديفة، وهي السَّمينة، والبيت من شواهد: الإنصاف ١/ ١٨٧، أوضح المسالك ٢/ ٩٦.

وَزَجَّجْنَ الَحَوَاجِبَ والْعُيُونَا[1]

فنَسَقَ "العيون" علىٰ "الحواجب" تغليباً للمجاورة، و"العيون" لا تُزَجَّج، كما أنَّ الجنَّات من الأعناب لا يَكُنَّ من الطَّلْع[2].

قال الإمام القرطبي: "وقرأ محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ والأعمش، وهو الصحيح من قراءة عاصم (وَجَنَّاتٌ) بالرفع، وأنكر هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، حتىٰ قال أبو حاتم: هي مُحَال؛ لأنَّ الجنات لا تكون من النخل، قال النحاس: والقراءة جائزة، وليس التأويل علىٰ هذا، ولكنَّه رفع بالابتداء، والخبر محذوف، أي: "وَلَهُمْ جَنَّاتٌ" كما قرأ جماعة من القراء ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢]، وأجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء، ومثله كثير"[3].

المعنىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ أي: ويُخْرِجُ من طَلْع النَّخْل عناقيدٌ مُتَدَانِيَةٌ قريبةٌ من المُتَنَاوِل، أو مُلْتَفَّةٌ قريبٌ بعضها من بعض، وإنَّما اقتصر علىٰ المُتَدَاني دون العَالي؛ لزيادة النِّعْمة والتَّمَكُّن من النظر فيه دون ضدِّه، وأخرجنا أيضًا بذلك الماء (جَنَّاتٍ) أي: بساتين ﴿ مِّنۡ أَعۡنَابٖ ﴾ مختلفة الألوان والأصناف، وأخرجنا به ﴿

(١) عجز بيت من الوافر للراعي النميري في ديوانه ٢٣٢، وهو من شواهد الخصائص ٢/ ٤٣٢، الإنصاف ٢/ ٦١٠، شرح شذور الذهب ٣١٣ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب١٣/ ٨٩، إعراب القراءات الشواذ١/ ٤٩٩، الدر المصون٥/ ٧٦-٧٧، الإتحاف٢٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٩.

وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾[الأنعام:٩٩] علىٰ اختلاف أصنافها، ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ﴾ [الأنعام:٩٩] أي: من النبات والثمار ما يُشبه بعضُه بعضًا، في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يُشبه بعضُه بعضًا، وفي ذلك دليلٌ قاطعٌ علىٰ الصَّا نع المختار القدير العليم المريد(١).

الموضع التاسع عشر: ﴿أَحْسَنَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٤].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (أَحْسَنُ) بالرفع(٢)، وهي قراءة شاذة(٣).

التوجيه: لقراءة الرفع وجهان: **الأول:** أنها خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أحسنُ، و"أَحْسَنُ" خبر صلة، كقراءة من قرأ "مَثَلاً مَّا بَعُوضَةٌ"، أي: تمامًا علىٰ الذي هو أحسنُ دِينٍ وأرضاه، أو تامّا كاملاً علىٰ أحسن ما تكون عليه الكتب، أي علىٰ الوجه والطريق الذي هو أحسنُ، وهو معنىٰ قول الكلبي: أتمَّ له الكتابَ علىٰ أحسنه(٤).

وقد عدَّ ابن جِنِّي هذا الوجه ضعيفًا في الإعراب؛ لحذف المبتدأ (هو) العائد علىٰ (الذي)، وحذفه هنا ضعيف، فالذي يحذف من صلة (الذي) الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها، نحو: مررتُ بالذي ضربتَ، أي: ضربته، فالهاء ضمير المفعول، ويمكن الاستغناء عنه،

---

(١) ينظر: البحر المديد ٢/ ٢٨٧.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣١٩.

(٣) قراءة الحسن وأحمد بن حنبل وابن محيصن وشبل وابن يعمر وغيرهم. ينظر: المصدر السابق، المحتسب ١/ ٢٣٤ .

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٢٥٦.

وطال الاسم بصلته، فحذفت الهاء لذلك، وليس المبتدأ بفضلة فيحذف تخفيفًا، لاسيما وهو عائد الموصول، ثم رَدَّ ابن جِنِّي علىٰ نفسه، وبيَّن أنَّ هذا الوجه قد جاء نحوه عن العرب، فقال: حكىٰ سيبويه عن الخليل: ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئًا وسُوءاً، أي: بالذي هو قائل، وقال:

لَمْ أَرَ مِثْلَ الْفِتْيَانِ فِي غَبَنِ الْـ * أَيَّامِ يَنْسُونَ مَا عَوَاقِبُهَا[1]

الثاني: قال التبريزي: (الَّذِي) هنا بمعنىٰ الجمع، و(أَحْسَنُ) صلة فعل ماض حذف منه الضمير وهو الواو، فبقي (أَحْسَنُ)، أي: علىٰ الذين أحسنوا، وحذف هذا الضمير والاجتزاء بالضمة تفعله العرب، كقول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّ الْأَطِبَّاءَ كَانُ حَوْلِي[2]

قال أبو حيان: وهذا خصه أصحابنا بالضرورة، فلا يُحْمَلُ كتاب الله عليه[3].

الموضع العشرون: ﴿سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

---

(١) البيت من المنسرح لعدي بن زيد في ديوانه ٤٥، وهو في كتاب الشعر للفارسي ٤٣٣، المفردات للراغب ٣٥٨، ويراجع: المحتسب ١/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) صدر بيت من الوافر . ينظر: البحر المحيط ٤/ ٢٥٦، اللباب لابن عادل ٨/ ٥٢١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٢٥٦.

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (سُمِّ الخِيَاطِ) بضم السين[١]، وهي قراءة شاذة[٢].

التوجيه: سُمُّ كل شيء بالفتح والضم: ثُقْبُه وخُرْتُه، ومنه: سَمّ الخياط: الإبرة، وسُمُوم الإنسان والدَّابة: مَشاقّ جلده (فمُه ومَنْخِرَاه وأُذناه)[٣]، وقال العكبري: "﴿فِي سَمِّ﴾ يقرأ بضم السين وفتحها، وزاد وزاد قوم كسرها أيضًا، وكلٌّ لغة"[٤].

معنىٰ الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم أو لأرواحهم، كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ أي: حتىٰ يدخل ما هو مَثَلٌ في عِظَمِ الجِرْم وهو البعير، فيما هو مَثَلٌ في ضِيق المسلك، وهو ثقبة الإبرة، وذلك مما لا يكون، فكذا ما يتوقف عليه، والخياط والمخيط ما يخاط به، كالحزام والمحزم، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٥].

---

(١) ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٣٢٧.

(٢) قراءة أبي حيوة وأبي السمال وأحمد بن حنبل وابن محيصن وقتادة في المصدر السابق. يراجع: شواذ القراءات للكرماني ١٨٦، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٥٤٠.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي [س . م . م] ٢/ ١٠٨٩.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ١/ ٥٤٠.

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ١٣.

الموضع الحادي والعشرون: ﴿ وَتَٱللَّهِ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء:٥٧].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (وَبِالله لأَكِيدَنَّ) بالباء، وهي قراءة شاذة[١].

التوجيه: الباء هي أصل حروف القسم، إذ تدخل علىٰ الظاهر والمضمر، ويُصَرَّحُ بفعل القسم معها ويُحْذَفُ، والتاء بدل من الواو كما في تجاه، والواو قائمة مقام الباء للمناسبة بينهما، من حيث كونهما شفويتين، ومن حيث أن الواو تفيد معنىٰ قريبًا من معنىٰ الإلصاق علىٰ ما ذكره كثير من النحاة .

والذي يقتضيه النظر إنه ليس شيء من هذه الأحرف أصلاً لآخر، وفرَّق بعضهم بين الباء والتاء بأنَّ في التاء المثناة زيادة معنىٰ، وهو التعجب، وكان التعجب هنا من إقدام إبراهيم عليه السلام علىٰ أمر فيه مُخَاطرة[٢]، ونصوص النحاة أنَّ التاء يجوز أن يكون معها تعجُّب، ويجوز أن لا يكون، واللام هي التي يلزمها التعجُّب في القسم، وفرَّق آخرون بينهما استعمالا بأن التاء لا تستعمل إلا مع اسم الله الجليل أو مع ربّ مضافًا إلىٰ الكعبة علىٰ قِلَّة[٣].

---

(١) قراءة معاذ بن جبل رضي الله عنه وأحمد بن حنبل . ينظر: الكامل للهذلي ٥/ ٥٢١، شواذ القراءات للكرماني ٣١٨، روح المعاني ١٧/ ٦١ .

(٢) قال الإمام الفخر الرازي: "والتاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطًا منه لصعوبته ". مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٥٧-١٥٨.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٧/ ٦١ .

معنىٰ الآية الكريمة: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ أي: لأمكرنّ بها، وأجتهد في كسرها، وفيه إيذان بصعوبة الانتهاز، وتوقفه علىٰ الحيل والسياسة، وذلك الكيد ﴿ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ بعد ذهابكم عنها إلىٰ عِيدِكم، قال مجاهد: إنما قاله سِرّاً، ولم يسمعه إلا رجلٌ فأفشاه عليه، وقال: سمعت فتىٰ يذكرهم، وقال السدي: كان لهم في كل سنة مجمعٌ وعِيدٌ، فإذا رجعوا من عيدهم دخلوا علىٰ أصنامهم فسجدوا لها، وقال أبو إبراهيم: يا إبراهيم لو خرجتَ معنا إلىٰ عيدنا لأعجبك، فخرج إلىٰ بعض الطريق، وقال: إني سقيم أَشتكي رِجْلِي، فلما مضوا نادىٰ في آخرهم – وقد بقي ضعفاء الناس –: (تَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) فسمعوه، ثم دخل بيت الأصنام، فوجد طعاماً كانوا يضعونه عندها للبركة، فإذا رجعوا أكلوه، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات:٩١]؟ استهزاءً بها، فلم يجبه أحد، فقال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات:٩٢] ﴿ فَرَاغَ ﴾ مال ﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣][(١)].

الموضع الثاني والعشرون: قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [المرسلات:١٧].

قرأ الإمام أحمد بن حنبل (نُتْبِعْهُمُ) بإسكان العين[(٢)]،وهي شاذة[(٣)].

---

(١) البحر المديد ٤/ ٣٥٥.

(٢) ينظر: الكامل للهذلي ٦/ ٣٥٣.

(٣) قراءة الزعفراني وأبي حيوة وأحمد بن حنبل ونعيم عن أبي عمرو في المصدر السابق. يراجع: المحتسب ٢/ ٣٤٦.

التوجيه: لسكون العين وجهان: الأول: أن يكون أصله الرفع علىٰ الاستئناف كقراءة الجماعة، فأسكن العين استثقالاً لتوالي الحركات، والثاني: أن يكون مجزومـًا بالعطف علىٰ (نُهْلِك) في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المرسلات:١٦] قبله، كقولك: ألم تزرني ثم أعطك؟، كقولك: فأعطك، ألم أحسن إليك ثم أُوَالِ ذلك عليك؟، فيكون معنىٰ هذه القراءة أنه يريد قومـًا أهلكهم الله – سبحانه – بعد قوم قبلهم علىٰ اختلاف أوقات المرسلين إليهم شيئـًا بعد شيء، فلما ذكر ما تقضَّىٰ علىٰ اختلاف الأوقات فيه قال تعالىٰ مستأنفـًا: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات:١٨] فيكون المجرمون هنا مَن نُهْلِكُهُ من بَعْد، وقد يجوز أن يُعْنَىٰ بالمجرمين: من مضىٰ منهم ومن يأتي فيما بَعْد، المعنيان جميعـًا متوجِّهان[(١)].

قال ابن عجيبة: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود؛ لتكذيبهم بذلك اليوم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: ثم نفعلُ بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بهم؛ لأنهم كذّبوا مثل تكذيبهم، و ﴿ثُمَّ﴾ وما بعده: استئناف، تهديد لأهل مكة، وقُرِئ بالجزم عطف علىٰ (نُهْلِك)، فيكون المراد بـ ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ المتأخرين هلاكـًا من المذكورين، كقوم لوط وشعيب وموسىٰ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل الفظيع ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: بكل مَن أجرم من كل أمة[(٢)].

---

(١) ينظر: المصدر السابق .

(٢) ينظر: البحر المديد ٨/ ٢٠٨.

الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين . وبعد ....

فقد جمعت في هذا البحث اختيار الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في القراءات من كتاب الكامل للإمام الهذلي رحمه الله، وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

١-عناية الإمام أحمد بن حنبل بالقرآن الكريم، فهو قاريء ماهر عارف بأصول القراءة واختلاف القراء .

٢-يعتبر الإمام أحمد من القراء الأوائل، فقد عاصر ثلاثة من القراء العشرة، وهم الكسائي ويعقوب وخلف العاشر.

٣-قراءة الإمام أحمد بن حنبل هي قراءة شيخه يحيىٰ بن آدم عن شعبة عن عاصم، لكنه خالفه في بعض المواضع .

٤-بلغ عدد القراءات التي خالف فيها الإمام أحمد شيخه تسعًا وثلاثين قراءة، وهي التي يصدق تسميتها باختيار الإمام أحمد .

٥-تنقسم القراءات إلىٰ اختارها الإمام أحمد إلىٰ موافقة للمتواتر، وإلىٰ شاذة لم يقرأ بها في المتواتر.

٦-لم ينص الإمام أحمد علىٰ علة اختياره للقراءات .

٧- اختيار الإمام أحمد في القراءات من الاختيارات الشاذة التي لا تجوز القراءة بها لكونها غير متواترة .

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الاشتقاق لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد ، تح. عبد السلام هارون، ط. دار الجيل - بيروت - الأولىٰ ١٤١١هـ = ١٩٩١م .
٣- أخلاق الوزيرين لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي ، تح. محمد بن تاويت الطنجي، ط. دار صادر- بيروت - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .
٤- إرشاد العقل السليم أبي مسعود، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٥- إعراب القراءات الشواذ للعكبري، تح. محمد السيد عزوز، ط. عالم الكتب - بيروت - الأولىٰ ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .
٦- البحر المحيط لأبي حيان، تح. عادل عبد المعبود، وعلىٰ محمد معوض، ط٢. دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
٧-البحر المديد لابن عجيبة، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
٨-بصائر ذوي التمييز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تح. محمد علي النجار، ط. المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - القاهرة : ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .
٩-تاج العروس من جواهر القاموس للعلامة محمد مرتضىٰ للزبيدي، ط. مكتبة الحياة، بيروت .
١٠-التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط٢. دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس : ١٩٩٧م.
١١-تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لعبد الله بن عمر البيضاوي، تح. محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط. دار إحياء التراث

العربي – بيروت – الأولىٰ ١٤١٨ هـ.
١٢-تفسير السعدي" تيسير الكريم الرحمن " لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. مؤسسة الرسالة – الأولىٰ – ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م .
١٣-تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي، ط. مطابع أخبار اليوم – القاهرة – ١٩٩٧م.
١٤-تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، تح. ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط. دار الوطن – الرياض – ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م .
١٥-تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تح. أبي عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفىٰ الكنز، ط. الفاروق الحديثة للطباعة القاهرة – الأولىٰ – ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .
١٦-تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح. سامي محمد سلامة، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع – الثانية – ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م .
١٧-التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر أ. د/ محمد سيد طنطاوي، ط. مطبعة السعادة – القاهرة – الثانية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧ م .
١٨-جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تح. أحمد محمد شاكر، ط. الرسالة- الأولىٰ ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .
١٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تح. هشام سمير البخاري، ط. دار عالم الكتب – الرياض – ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م .
٢٠-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تح. محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، ط. دار الكتب العلمية – بيروت: ١٩٩٨م .
٢١-الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تح. محمد علي النجار، ط.

المكتبة العلمية .
٢٢-الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، تح. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات - القاهرة - الأولىٰ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .
٢٣-ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه أبو سعيد الحسن السكري، تح. محمد حسن آل ياسين، ط٢. مكتبة الهلال، بيروت،:١٤١٨هـ= ١٩٩٨م .
٢٤-ديوان الأعشىٰ الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد حسين، ط. مكتبة الأدب المطبعة النموذجية، القاهرة .
٢٥-ديوان امريء القيس، اعتنىٰ به عبد الرحمن المصطاوي، ط. دار المعرفة - بيروت - الثانية ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م .
٢٦-ديوان جرير بن عطية بشرح محمد بن حبيب، تح. د. نعمان أمين طه، ط. دار المعارف - القاهرة - الثالثة .
٢٧-ديوان شعر عبد الله بن الزبعري د. يحيىٰ الجبوري، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية ١٤٠١هـ= ١٩٨١م .
٢٨-ديوان الهذليين، ط. دار الكتب المصرية - القاهرة - الثانية ١٩٩٥م .
٢٩-روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣١-الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، تح. حاتم الضامن، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولىٰ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
٣٢-زهرة التفاسير لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفىٰ ، ط. دار الفكر

العربي.
٣٣-السلسلة الصحيحة للألباني "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني"، ط. مكتبة المعارف، الرياض .
٣٤-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط١. مكتبة المعارف – الرياض: ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
٣٥-سنن الترمذي لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، تح. أحمد محمد شاكر وآخرون، ط. دار إحياء التراث العربي،- بيروت .
٣٦-سنن أبي داود للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، تح. محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية - صيدا – بيروت .
٣٧-سنن سعيد بن منصور، تح. سعيد بن عبد الله آل حميد ، ط. دار العصيمي – الرياض – الأولىٰ١٤١٤هـ.
٣٨-السنن الكبرىٰ للإمام البيهقي، ط. دار الفكر، بيروت.
٣٩-سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الفكر، بيروت.
٤٠-سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، تح. شعيب الأرنؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، ط٣. الرسالة - بيروت : ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .
٤١-شرح أبيات سيبويه للسيرافي، تح. د. محمد علي هاشم، ط. مكتبة الكليات الأزهرية – دار الفكر – القاهرة ١٩٧٤ م .
٤٢-شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تح. شعيب الأرنؤوط، ط١: الرسالة،بيروت : ١٤١٥ هـ= ١٩٩٤م .
٤٣- شرح النووي علىٰ صحيح مسلم" المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج النووي، ط. دار إحياء التراث العربي،بيروت : ١٣٩٢ هـ .

٤٤-شواذ القراءات للكرماني من علماء القرن السادس، تح. د. شمران العجيلي، ط. مؤسسة البلاغ، بيروت.
٤٥-صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر" محمد بن إسماعيل البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر، ط. دار طوق النجاة - الأولىٰ ١٤٢٢ هـ.
٤٦- صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط. مؤسسة غراس - الكويت - الأولىٰ ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م .
٤٧- صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، ط. دار القرآن الكريم - بيروت - الرابعة ١٤٠٢هـ=١٩٨١م.
٤٨- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ، تح. د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط. الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام علىٰ تأسيس المملكة العربية السعودية.
٤٩-العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تح. د. مفيد محمد قميحة، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الأولىٰ ١٤٠٤هـ =١٩٨٣م.
٥٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة - بيروت - الأولىٰ ١٤١٤هـ.
٥١-فتح القدير للشوكاني، ط. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت - الأولىٰ ١٤١٤هـ.
٥٢-فرحة الأديب في الرد علىٰ ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه لأبي محمد الحسن الأعرابي الأسود الغندجاني، تح. د.محمد علي سلطان، ط. دار النبراس ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
٥٣-الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم يوسف بن جبارة الهذلي،

تح. د. عمر يوسف حمدان وزميلته، ط. جامعة طيبة – المدينة المنورة – الأولىٰ ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

٥٤-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري، تح. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١. مكتبة العبيكان – الرياض : ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .

٥٥-الكشف والبيان الثعلبي، تح. أبي محمد الطاهر بن عاشور، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م .

٥٦-اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تح. غازي مختار طليمات، ط. دار الفكر – دمشق – الأولىٰ ١٩٩٥ م .

٥٧-اللباب في علوم الكتاب لعمر بن عادل الحنبلي، تح. عادل عبد الموجود وزملائه،ط١دار الكتب العلمية، بيروت:١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

٥٨-مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، تح. أنور الباز، عامر الجزار، ط. دار الوفاء، الثالثة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٥٩-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، تح. علي النجدي ناصف وزملائه، ط. المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٦٠-المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن سيده، تح. د. عبد الحميد هنداوي، ط١. دار الكتب العلمية : ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .

٦١-المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي،تح:د.مفيد قميحة، ط٢.دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٨٦م.

٦٢-مسند أبي يعلىٰ لأحمد بن علي بن المثنىٰ أبي يعلىٰ الموصلي، تح. د. محفوظ الرحمن زين الله، ط. دار مأمون للتراث – دمشق – الأولىٰ ١٤٠٤ هـ=١٩٨٤ م .

٦٣-معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تح. محمد عبد النمر وزملائه، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م .
٦٤-معاني القرآن للفراء، تح. إبراهيم شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الأولىٰ ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م .
٦٥-معاني القرآن للنحاس، تح. محمد علي الصابوني، ط. أم القرىٰ، الأولىٰ ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م .
٦٦-المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تح. حمدي عبد المجيد، ط٢. مكتبة العلوم والحكم – الموصل: ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م .
٦٧-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط. المكتبة العلمية، بيروت .
٦٨-المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، ط. دار الفكر - بيروت - الأولىٰ ١٤٠٥ هـ.
٦٩-مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الأولىٰ ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
٧٠-المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن مفلح، تح. د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط. الرشد - الرياض - الأولىٰ ١٤١٠ هـ=١٩٩٠م .
٧١-المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني، تح. محمد الصادق قمحاوي، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .
٧٢-منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتداء للأشموني، تح. عبد الرحيم الطرهوني، ط. دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٨م.
٧٣- الهداية إلىٰ بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، ط. جامعة الشارقة، بإشراف د. الشاهد البوشيخي، الأولىٰ ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.